

THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

LIBRARY SERVICE
LIBRARY

OCT 24 1974

D002.1.2 SH13

عبد السلام محمد شحاته
ليسانس ود لسانة عليا في الآداب
مدير في المكتبات مع جامعة كوروسيا بنين
عضو الاتحاد الإفريقي للمكتبات

المكتبة والمجتمع

المكتبة الحديثة في الثقافة والتربية والبحث

"لقد ما نحتاج للمكتبات بعد المدرسة والمعهد"
نبودور ريفلت

١٩٤٩

CN02171473



DUPLICATE

Columbia University
SCHOOL OF LIBRARY SERVICE
LIBRARY

عبد السلام محمد شحاته
ليسانس ودراسات عليا في الآداب
عضو في المكتبات مع جاذبة كرسيا بنبروك
عضو الاتحاد الأمريكي للمكتبات

المكتبة والمجتمع

"لقد ما نخلج للمكتبات بعد المدرسة والجامعة"
بيروت ١٩٤٩

الثن ١٤

جميع الحقوق محفوظة

١٩٤٩

للمؤلف :

دراسات في الثقافة المكتبية

١ - المكتبة والمجتمع سنة ١٩٤٩

٢ - سلطة الناشر. بالانجليزية سنة ١٩٤٧

٣ - المكتبات العامة والسلطات في مصر. بالانجليزية. سنة ١٩٤٧

٢ ، ٣ مخطوطان بمكتبة مدرسة المكتبات بجامعة كولومبيا.

٤ - المكتبة في الدراسة (في الاعداد).

أعمال أدبية

١ - شاطئ الاحلام ، قصص مصرية ، بمقدمة لفكرى اباظه بك.

سنة ١٩٣٦ . نقد

٢ - المعابد المهجورة ، اسطورة فلسفية ، بمقدمة للدكتور محمد

منذور . سنة ١٩٤١ ، نقد

٣ - مشاهد عربية في امريكا . نشر بالبلاغ ، عام سنة ١٩٤٨

٤ - شجرة الدر في شيكاغو . قصة مصرية مخطوطة ، مقدمة

الدكتور لوجنز ، استاذ النقد بجامعة كولومبيا .

دراسات أدبية

١ - المبقرية الشاعرية بين الفرد والمجتمع ، لدرجة الاستاذية

في الآداب .

يطلب الكتاب من المؤلف ٨ شارع صديق كرم شبرا مصر

Aut. G. 14

الأهداء

إلى استاذي الدكتور علي عبد الواحد وافي
استاذ علم الاجتماع بجامعة فؤاد.

هذا الكتاب

«أيها الرفاق،
ليس هذا بكتاب،
فمن يتأمله،
إنما يمس أعماق روحه!»
«والت هو يتمان»

قيل ان الشيخ الرئيس ، ابن سينا ، كان مولعاً بالمعرفة ،
وأن من الأسباب التي هيأت له تحصيلها ، أنه استطاع أن يتسلل
إلى مكتبة أمير من الأمراء فالتهم ما وقعت عليه عيناه من مخطوطات
إلتهاماً ، أوحى له بنظرياته وآرائه فيما بعد .

ولكن عصرنا لا يحتفل إضاعة الوقت لتجني الفرص لمثل هذا
الاختلاس ، لأنه عصر السرعة ، ولأنه عصر الديمقراطية التي
من أهم واجباتها إتاحة الثقافة والمعرفة للناس ، لتوفير الفرص
المتكافئة بين الأفراد ، حتى يبرز منهم من وهب الاستعداد
الفطري أو الصبر والالتانة ، أو الشغف بالعلم ، أو قل لينال كل
فرد حاجته من المعرفة والعلم . فالتعليم حق مقرر لا يختلس كما كان قديماً .

وليس عصرنا هو عصر حب المعرفة وجمع شتات من ألوانها
المتباينة بالقراءة فحسب ، وهو بالتالي ليس عصر مجموعات
الكتب ، ولكنه عصر تنظيم للثقافة والمعرفة ، وعصر تنسيق
لمناهجها وأصولها ، ولهذا وجدت المكتبات كمنهج وظيفته أن
أن ينسق وينظم المعرفة والتربية والبحث .

وحكمة الشرق والغرب تزخر بالاشارة إلى الكتب ، التي كانت
منها المعجزات . فمعجزة الاسلام هي كتاب كريم ، والكتاب
المقدس يذكّر مثلاً في العهد القديم ، أنه ليس هناك من نهاية للكتب
التي يمكن ان تؤلف .

والغرب يقيم ، على الكتاب ، حضارته في شتى ألوانها ،
حتى ليقول كارليل ممبراً عن نزعة تمجيد الكتب « ليبارك الرب
كادموس ، أو أهل فينيقيا ، أو أى مخلوق آخر يمكن ان يكون
قد ساهم في اختراع الكتاب » . فاذا كان الناس في الشرق والغرب
يمجدون الكتاب فما بالهم لا يمجّدون تنظيمها والعمل على
تنسيقها كمنهج للمعرفة ؟

أما في الغرب فقد فعلوا ، وكان لكارليل بالذات ، وهو من
أشرفنا الى قوله ، آية مشكورة . أما في الشرق ، فلا زلنا نؤمن
بالكتب وحدها دون ان نؤمن بتنسيقها واحكام منهاج للافادة
امنها في حياتنا وتعليمنا .

وهذه الفصول غايتها التعريف بوظائف المكتبات لعامة
المثقفين والمربين ، والباحثين . فهي ليست بالعلاج الفني التفصيلي
لفن المكتبات ، الذي كتب فيه عشرات الآلاف من المجلدات
في الغرب ، وانما هي عرض اجتماعي لاهميتها في مختلف
الاهداف . كما انها تسعى للتعريف بفن المكتبات نفسها ،
مع ذكر مثل تلك المواد التي يتألف منها ، وهو فن اختيار الكتاب .
وتلك الغاية واضحة في الاسلوب الذي عالج به هذه
الفصول فهي ليست دقيقة دقة البحث الجامعي ، وان لم تغفل
الاشارة الى أهم المراجع . كما انها لا تقصر أفقها على المشتغلين
بالمكتبات وحدهم . لان غايتها أن تصبح هذه المؤسسات عميقة
لاثر في الحياة العامة وفي الحياة الخاصة كالجامعة والمدرسة

ومعامل البحث والهيئات المختلفة . وقد أظهرتنا هذه الدراسة على أن المكتبات ، وإن هيأت الظروف الاجتماعية لإنشائها وتطورها الديمقراطي ، فإنها لم تنهض بالفعل إلا على يد أعلام نابهين في أوطانهم ، من بذلوا الجهد والمال لإنشاء هذه المؤسسات لخير مواطنيهم ، وتحقيق ما تضمنه الوعي العام لمجتمعهم . كما أبانت عما تستطيع المرأة أن تساهم به في هذا الميدان التعليمي ، فالمكتبات تدبر لها في الغرب بالكثير . وما أخرى النابهين والنابهات بطرق هذا السبيل المبارك في الخدمات الثقافية الاجتماعية في بلادنا .

* * *

وهذه الفصول ، وإن كتبت عن خبرة ودرس ومشاهدة فإن مادتها كانت جزءاً من فكري وعقلي ، بعد أن تمثلتها ، فصارت مادة حية تنبض بحرارة الحياة . فلم تكن غايي من التحصيل أن أقف عنده ، وإنما أن أحيا وأعيش ، هذا الذي أعرفه ، ولو كان قليلاً .

وإن لا تنتهز هذه المناسبة لأزجي الشكر للحكومة الأمريكية ، التي كانت صاحبة الفضل بمنحني ، بالاتفاق مع وزارة المعارف ، منحة علمية لدراسة هذا الفن واكتساب الخبرة بالمكتبات . وهذا الكتاب ثمرة من ثمرات تلك المنحة المذكورة المشكورة .

وكم أحب أن تكون هذه الفصول الجزء الأول من سلسلة

ينشرها المختصون على الناس ، ولجهود تبذل في هذا الأفق
ليتحقق بالفعل ما تستطيع أن تؤديه المكتبات الحديثة من خدمات
حيوية . ولا شك ان المجتمع ، وان غمط حقوق القائمين على
المكتبات فيما مضى ، فسوف يأتى في القريب العاجل يوم تقدر
فيه جهودهم المبذولة المشكورة ، لا سيما في عهد راعى النهضة
والعلم الملك الشاب فاروق الأول أيدته الله .

وأخيراً لعل الصدور تتسع لاحتمال هذا الكتاب في ثوبه
المواضع ، كما نلتبس العذر لاختطأ مطبعية وقعت لظروف قاسية
أملت بفترة طبعه .

وان تكن عيوب الكتاب أشواكا للورد ، فان الورد الذى
له شوك يمكن ان ينظر اليه على أنه شوك له ورد ، كما يقول شيللرا
وأما أيهما الشوك وأيهما الورد ؟
فذلك حكم نتركه للقارىء الكريم .

عبد السلام شحاته

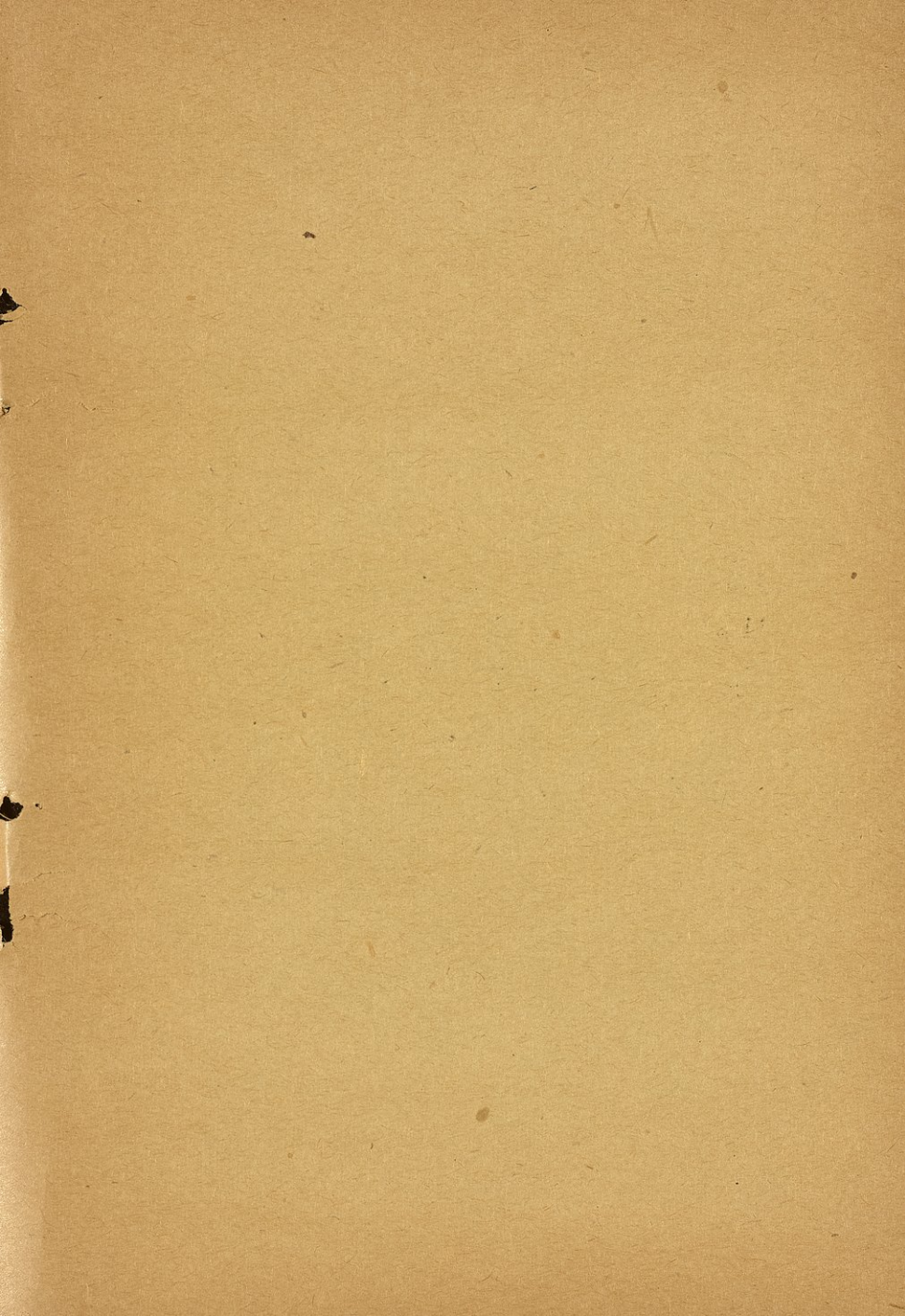
نوفمبر سنة ١٩٤٩

٨ شارع صديق كرم
شبرا مصر

بروسينس الجديد

« تحارب المكتبة ذلك الايمان الخاطئ الذي يؤمن أن فترة التعليم تنتهي بانتهاء عهد المدرسة ، لأنها تؤمن بما يناقض هذا تماما . كما تؤمن بأن خير وسيلة لمعرفة شيء ما إنما تكون حينما يحتاج المرء إلى معرفة ذلك الشيء »

جيرالد مكدونالد



إذا كانت أسطورة بروميتيوس في القصص اليوناني القديم
 ترمز إلى أن الانسان سرق مشعل المعرفة من الآلهة ونزل به
 من السماء إلى الأرض ، فكذلك استطاعت الديمقراطية الحديثة
 أن تفعل ما يشبه ذلك في الكتب والمكتبات فهي لم تقصر خدماتها
 على العلماء والباحثين الممتازين فحسب ، بل امتدت إلى رجل
 الشارع والطفل وربة الدار والعامل والصانع والزارع والتلميذ وغير
 هؤلاء . ولا زالت تقدم خدماتها لكل منهم إلى جانب ما تقدمه
 إلى العالم الفذ ، والأستاذ الزاهد في كل شيء . عدا العلم والمعرفة .
 ووجه الشبه واضح بين بروميتيوس القديم الذي سرق
 مشعل المعرفة وأذاع شعلتها بين الناس وبين الروح
 الاجتماعية الحديثة التي أتاحت الخدمات المكتبية لأبناء الشعب
 ولم تقصرها على العلماء وحدهم فنزلت بها من السماء إلى الأرض
 كما فعل بروميتيوس الذي يرمز إلى تكريم الانسان وجعله
 القوة الفعالة في هذه الأرض . ولن يضير المعرفة في شيء أن تذاع
 وتشيع وأن تكون إنسانية واقعية بدلا من أن تبقى في كنوز
 الآلهة بين الأسرار المجهولة المقدسة ، ولن يضير المكتبة أن تذيع
 المعرفة وتذيع الاطلاع لأبناء الشعب . وقد تهم لذلك بأنها
 أصبحت شعبية ولم تعد لأصحاب الأبراج العاجية وحدهم .
 ولكن من الخير لها أن تكون شعبية في عصر تسوده الديمقراطية
 التي تحاول أن تهب جميع أبناء وطنها الفرص التي يظهر وزن فيها بنوهم
 ونواحي استعدادهم . فالديمقراطية نظام سياسي يتيح الفرص

والامكانيات للمساكن والمواهب على هذا النحو الانساني
الكريم العادل.

وقد كانت المكتبة في الغرب مكاناً مقدساً أو هو بالمقدس
أشبهه ، فلا يلجها إلا العالم والأستاذ ومن يداينهما مرتبة يقرأون
ويطلعون على ما فيها من كنوز نادرة المثال. وقد عرفت قيمتها
على هذا النحو منذ فجر التاريخ. فنجدها ملحقة بالمعابد المتعددة
في الشرق بين آشور وبابل ومصر. وكان في معبد ادفو « بيت
البردى » أو دار البردى على نحو ما نسمي الآن المكتبات بدور
الكتب. وبلغ من قدسية الكتب في مصر القديمة أنها كانت
مرتبطة بالعلاج الطبي والروحي كما نجد ذلك في معبد الرامسيوم.
والمكتبات سواء في التاريخ القديم أو الوسيط لا تخرج عن
ارتباطها بالدين ورجال الدين ومن بعدهم العلماء الأفاضل وخدم
حتى كان التطور الديمقراطي في القرنين الأخيرين أو في هذا
القرن العشرين على وجه خاص حيث اتجهت اتجاهها شعبياً تبعاً
للتطور الاجتماعي في القرن التاسع عشر الذي قامت فيه الصناعات
وازداد نفوذ طبقة العمال وأبناء الشعب جملة كما هو في إنجلترا
أو التي نهضت فيه الديمقراطية التي ترمى إلى تعليم المواطنين كما
حدث في أمريكا. ولا زالت هذه النزعة هي الدافع الأول
للحناية بشؤون المكتبات كما يذكر الأستاذ جردن جينجز في
ص ٣٢ من نشرة « الفرص المتكافئة » وهي من نشرات اتحاد
المكتبات الأمر يكي حيث قال « إن رفاهية البلاد الديمقراطية

إنما تكون بتعليم المواطنين ونشر المعرفة وإذاعتها بينهم . ولما كانت المكتبة هي الأداة الأصلية للتعليم حيث تودع فيها المعرفة وتسجل ، كان من الواجب على الدولة التي تنشُد رفاهيتها ورخاءها أن تتيح الخدمات المكتبية لبنائها جميعا .

وقد سارت المكتبات في الغرب 'قدما' نحو هذه الاهداف . وأما نحن الآن فلا زلنا نفكر في المكتبة تفكيراً أقل تقدما من الغرب . فما المكتبات عندنا غير «دور للكتب» ، وما الموظف القائم بشؤون هذه الدور غير «الأمين» وما الزائر أو القارئ أو المستعير إلا شخص يلح في طلب المعرفة على حساب الدولة . ومعنى ذلك انه يجب معاملته بكل حزم فنأخذ الموائيق والعهود عليه حتى لا تضيع الأموال العامة هباء ، ومعناه أيضا ان المكتبة ما هي إلا خزانة للكتب ، وما القائم بالأمر فيها إلا خازن كل وظيفته أن يجرس الكتب ويحميها من القارئ المختصب الذي يذكر المكتبة بسرقة بروميثيوس للمعرفة من الآلهة في الاسطورة القديمة ، والفصول التي أسوقها للقارئ هنا إنما أنشد وأرمي من ورائها إلى بيان وظيفة المكتبة الاجتماعية وأثرها في الجماعة والتعليم من ناحية وبيان أن مهمتها ليست مجرد خزن الكتب والحرص عليها من ناحية أخرى .

ان المكتبة ليست كتبا . وليست وظيفتها خزن الكتب . وإنما هي اليوم فن يقوم على علوم وفنون متعددة وما الكتب إلا وسائل لغايات تربوية وتعليمية ، بل هي ليست بالوسيلة

الوحيدة التي تستخدمها المكتبة لتحقيق هذه الغايات . فليس
لعمل في المكتبة هو خزن الكتب والقيام عليها في حراسة
صارمة ، وإنما هو عمل ثقافي تربوي عظيم الأثر جليل الفائدة
يجب أن يقف القائم عليه على أصوله وأهدافه وتفصيله . ومن
ثم فليس القارىء أو الزائر هو من جاء يغتصب أو ينال ماليس
حقاً له ، بل انه على العكس جاء لينال حقاً من الحقوق التي
يجب أن يتيحها له الوطن . وهذا واجب أساسي للمكتبات حتى
ان المكتبة تقيس نجاحها بعدد من وصلت اليهم من الاصدقاء
وبعدد ما أعارتهم من كتب ، وبمدى ما أفادوا من الكتب وغير
الكتب مما تملكه المكتبة من وسائل التربية الاجتماعية الحرة ،
ولذلك كان من الضروري أن يُعتبر القارىء والمجتمع الذي
قامت فيه المكتبة عنصراً من أهم العناصر التي توجه سياستها
وتكيف اتجاهاتها في اختيار الكتب وفي أنواع الخدمات
الأخرى سواء أكانت خدمات مراجع واستعلام أم خدمات
أطفال وقص القصص عليهم وإذاعة أحاديث لهم ، أو في
المحاضرات أو البرامج التعليمية أو برامج الموسيقى والافلام
والمعارض ، أو الخدمات التي تقوم بها المكتبات في الأندية
الثقافية والاجتماعية والمدارس والمستشفيات والسجون ،
أو الخدمات التي تصل الى الجهات البعيدة من بلاد صغيرة مجاورة
وقرى هاجعة في صميم الريف ، وكل ذلك طرف مما تقوم به
المكتبات الشعبية في الغرب . وما يدخل في تقدير المكتبة

ورسم سياستها القارىء ويبينه وحالتها الثقافية وتكوينها
الاجتماعى والاقتصادى ونوع العمل السائد والتقاليد المتبعة
الجارية والمؤسسات الأخرى التعليمية والمدنية والاصلاحية
ويدخل فى هذا التقدير كذلك المكتبات الأخرى الموجودة
فى المؤسسات والشركات والمدارس وغيرها فى الجهة.

وفى الولايات المتحدة اليوم ما يزيد على ستة آلاف مكتبة
شعبية وستين ألف مكتبة فى المدارس وألف وستمائة مكتبة فى
الكليات والجامعات وما يقرب من ألف وخمسمائة مكتبة فى
المؤسسات الخاصة كالسجون والشركات ودور الصحف
والجمعيات. وبلغ ما انفق على المكتبات الشعبية وحدها فى
الولايات المتحدة فيما بين عامى ١٩٢٦ و ١٩٤١ ما يقرب من
سبعة ملايين من الجنيهات. وبلغ ما أضيف إلى هذه المكتبات
فى المدة المذكورة ما يقرب من خمسين مليوناً من المجلدات ،
وبلغ عدد ما استعير من هذه المكتبات الشعبية فى نفس الفترة
ما يقرب من مائتى مليون كتاب . هذا فى المكتبات الشعبية
وحدها ، وهى غير مكتبات حكومة الاتحاد ومكتبات الولايات
الحكومية ومكتبات المدارس والجامعات والمكتبات الملحقة
بالمؤسسات الخاصة . ويبلغ متوسط ما ينفق على الفرد الواحد
فى الخدمات المكتبية الشعبية فى ولاية كاليفورنيا مثلاً ما يقرب
من ثلاثين قرشاً فى العام.

وأريد أن أتساءل : أين نحن من هذه النهضة الضخمة

الوطيدة العمدة؟ ولكنى لا أنكر ما يحول فى الازدهان من
اعتراض على هذا التساؤل بما معناه : وأين نحن من أمريكا ؟
وإذا عرفنا ان الأمريكيين قوم عمليون لا يضيعون الوقت
والجهد والمال عبثاً ، وإذا عرفنا كذلك انهم سبقونا فى مراحل
الحضارة الحديثة بأشواط بعيدة ومن الواجب علينا ان ننهض
نهضة وثابة كيما نقطع الاشواط لنحقق معانى الحضرة فى بلادنا ،
أقول اذا عرفنا كل ذلك لما حق لنا أن نعرض على ذكر حقائق
عن بلد آخر لم يكنف بما وصل اليه بل ما زال ينادى بوجوب
مضاعفة الجهود حتى تسهل الخدمات المكتبية لعدد أكبر بحيث
يمكن أن يصدق عليها ما نتصوره عن شعلة المعرفة التى هى جديرة
بأن تشعل النار المقدسة فيما لا حصر له من المشاغل . ذلك أنه
مضى وجد فهم صحيح لهذه الخدمات ونهضت بالفعل مؤسسات
معينة لتحقيق الغايات فانه لا حصر لما يمكن أن تؤديه فى الغد ،
ولا حصر لعدد المكتبات التى تنشأ فى المستقبل . فالعبرة
هى معرفة وفهم الاصول والغايات التى تقوم عليها المكتبة
فى المجتمع . ولذلك عنيت بمشر هذه الفصول المتواضعة
التي تتحدث عما تستطيع المكتبة أن تهبه للناس أفراداً وجماعات
بل للمجتمع الانسانى عامة حتى يستطيع التفاهم والتعاون على
أسس مشتركة من التفكير وتبادل وجهات النظر المختلفة التى
تتولى المكتبات ايجادها وتحقيقها لانها ذات غايات انسانية .
وأكبر دليل على أهميتها من الناحية الدولية ما تقوم به مكتبات

هيئة الأمم من مشروعات لتبادل المعرفة في النواحي العلمية والانسانية وتبادل وجهات النظر بصددتها وإيجاد أسس فكرية مشتركة تكون دعاءة لايجاد التعاطف والمشاركة الوجدانية بين الناس .

المكتبات الشعبية

لعل أروع مظهر انساني في مكتبات الغرب هو المكتبة الشعبية أو المكتبة العامة في بلدة أو مدينة . وتكون عادة من آثار مصالح اجتماعي قدر للمكتبات قيمتها ومغزاها . مثل تلك المكتبات المتعددة في انحاء امريكا وكندا وبريطانيا التي تبرع لها كارنيجي وكثير غيرها في انحاء العالم الغربي . وكثيراً ما نجد المكتبة قد انشأها أبناء المدينة أو البلدة بواسطة النوادي الاجتماعية الاصلحية كائدية النساء وغيرها فهي التي عملت على اناحة هذه الخدمات في البلدة أو المدينة مستعينة في ذلك باخصائي المكتبات في حكومة الولاية أو الاقليم . وهؤلاء يعملون على مساعدتها مالياً وفيما حتى تقوم المكتبة على دعامة وطيدة البناء .

وليست المكتبة الشعبية بمجموعة من الكتب ولا بخزن لها ، وانما هي المركز الثقافي الذي يمد الفرد بالمعرفة عن طريق الكتب والاستعلام ، كما يمد الطفل والتلميذ وربة الدار والاستاذ وغير هؤلاء ممن يتباينون في السن والمهنة والدين والجنس .

ولو هبطت إلى بلدة من تلك البلدان وسألت سائق السيارة أو عامل المطعم أو الصبي الذي يبيع الصحف عن المكتبة لعلمت ان هذه المؤسسة معروفة من الجميع . فهي بحق محط الأنظار وقبلة الناس ، وهي مركز الثقافة والارشاد الثقافي ، أو قل هي المنتدى الاجتماعي الثقافي للبلدة .

بناء بسيط جميل له نوافذ زجاجية لعرض الكتب الجديدة أو كتب عن موضوع معين ملائم لمناسبة وطنية أو اقليمية أو ثقافية بحيث يراها الناس في الشارع . وأما الباب فهو في مستوى الشارع كذلك لا تشعر برهبة ولا بمشقة في أن تلجحه ، فإذا ما دخلت رأيت على أحد الجوانب مكتباً صغيراً لاجرات الاستعارة ، وكل مواطن في الولايات المتحدة ، مهما كان سنه ويستطيع ان يكتب اسمه ، له حق استعارة الكتب . فيكل الاجرات التي تتخذها أن تكتب اسمك وعنوانك وصناعتك وميولك وتنتهي من هذا في دقيقة فتسلم منك الفتاة المكلفة بالأمر البطاقة ، وما هي إلا حركة يسيرة من يدها حتى تكون الآلة قد سجلت رقماً لبطاقتك وأصبحت بذلك من اصحاب الحق في الاستعارة من هذه المكتبة .

هذا مهندس كان قد استعار كتاباً جاء ليقف على الجانب الآخر من المدخل حيث يوجد مكتب آخر ليرد اليه الكتاب في أقل من دقيقة ثم يدخل هو المكتبة ليستطلع ما لديها من كتب عن الهندسة المائية ، وها هو ذا سائق سيارة يعيد كتاباً

عن الراديو ويدخل ليستعير كتابا آخر عن التلفزيون ، وتلك سيدة جاءت في صحتها فتة صغيرة لتسأل عن كتاب يتضمن قصة للأطفال تقرأ بصوت مسموع لطفلتها البالغة اربع سنوات من العمر ، وما هي إلا لحظة حتى يدخل صبيان يسألان عن كتاب عن معسكرات الرحلات . . . أما هذا الرجل الاصلع فلا يسأل أحدا وإنما يتجه الى حيث غرفة المجلات والدوريات التي تبحث في التجارة والأسعار والاعمال . ولسوف يجد في تلك الغرفة من المقاعد المريحة والجو المكيّف الهواء ما يغريه باستقصاء الأسعار وتطورات سوق الفراء ، وسيجد في جوها اللطيف ما يجعله يحتمل أنباء الخسائر . . .

وهذه مكتبة أخرى أضخم وابعد شهرة وأكثر ثراء من المكتبة الصغيرة التي سبق زيارتها. ولجنا الباب فوجدنا - كما وجدنا آنفا - مكتبي الاستعارة في ناحية واسترداد الكتب المعارة في ناحية أخرى من المدخل . . . لنتركها ولنسر خطوتين إلى الامام . . . هذا هو جميل أنيق فسيح متعدد الأقسام كثير الحركة بما لا يجعل لا تساعه رهبة ولا كآبة . . . هذا مكان للاستعلام العام . . . فتاة على نضد تبسّم وتقول - أستطيع ان أودى لك خدمة ؟ قلت - أريد كتابا عن العبقريّة فأين أجده ؟ وأريد عنوان صديق لي في جامعة كاليفورنيا .

قالت - أمامك الفهرس العام للمكتبة فأبحث فيه تحت مادة عبقريّة لان بطاقات الفهارس عندنا تشمل اسم الكتاب واسم

مؤلفه وتشمل موضوعه ، فان كنت تبحث عن كتاب تعرفه فانظر تحت عنوانه ، وإن جهلت العنوان فابحث تحت اسم المؤلف ، وإن جهلت الجميع فابحث تحت اسم الموضوع فان لم تجد العنوان الذى تطلب فسوف تجد إشارة اليه تحت اسمه فى عنوان آخر . . . ها هوذا الفهرس ، وما دمت تريد كتبها عن العبقريّة فابحث تحت مادة « عبقريّة » . . . ها هي ذى بطاقة بعنوان العبقريّة . . . ولكنها تشير إلى أن الكتب التى تبحث فى الموضوع تحت مادة « علم النفس » فعليك ببطاقتها . . . وخذ رقم الكتاب الذى تريد واطلبه .

ووجدت ما أريد فقط - ولكنى أضعت من وقتك شيئاً كثيراً . فأجابت - إن من واجبي ان أرشدك الى استعمال الفهرس حتى تعتمد البحث بنفسك ، ومن حقك على ان أرشدك الى هذا وغيره . . . فانت تريد عنوان صديق لك فى كاليفورنيا . . حسناً ! اذهب الى قسم المراجع والاستعلام ها هو . . إنه أول شيء تلقاه على قيد خطوتين أمامك . . وهو فى واجهة الداخل لأنه مكان الاستعلام عن كل شيء حتى عما فى هذه المكتبة ، وهذا الفهرس الذى تراه وأنا نقتبص قسم الاستعلام .

وذهبت الى حيث أشارت فوجدت الكتب العامة وأنواع الخدمات التى تكلمت عنها فى فصل آخر من هذه الفصول وبحث فى دليل جامعة كاليفورنيا ودليل مدينة بيركلى التابعة لها حتى استطعت أن أعرف عنوان صديقى وبعد ذلك قلت - اننى أريد

معرفة أقسام هذه المكتبة.

قالت السيدة القائمة على العمل - إن هذه مكتبة رئيسية ضخمة ولهذا فإنها تقسم إلى أقسام موضوعية : فهذا قسم الصناعات والفنون العملية والعلوم ، وذاك قسم الديانات والفلسفة ، وأما الثالث فهو قسم علم النفس والتربية ، وهذا الرابع قسم التاريخ والتراجم والرحلات . واليك أقسام الآداب والفنون الجميلة وقسم القصص والأطفال وقسم المطبوعات المتعلقة بالأقليم .

ورأيت أن أزور هذه الأقسام التي لا يفصل بعضها عن بعض غير حواجز من الكتب . فكل قسم يمكن تضييق مساحته أو توسيعها حسب الحاجة . أى أن التقسيم تقسيم مرن لا تقسيم مقفل . والمهم في هذا كله هو أن الأقسام قامت حسب حاجة المدينة وحسب مدى الإقبال على كل نوع من أنواع المعرفة ، سواء في حجمها أو في قربها من المدخل .

فما لا شك فيه أنه كلما كان القسم الأوسع استعمالاً قريباً من المدخل كان أسهل وأيسر لأكبر عدد ممكن من القراء الذين ترعى المكتبة توفير ما يتصل براحتهم ومدى إفادتهم . وكل قسم أعد بما يلائمه . فقسم الفنون الجميلة فيه التسجيلات الموسيقية وحجرة لسماعها وتسجيلات معارة من اندية موسيقية كما أن هناك نظاماً خاصاً لوضع مجموعات الاسطوانات والكتب الكبيرة الحجم الخاصة بنماذج النحت والرسم ، وهناك مجموعات دولية من التسجيلات ، فلكل دولة بضع أناشيد وهكذا . ومن

الممكن اعارة التسجيلات لآى شخص .
وأما قسم الآداب فيشمل مجموعات الشعر والتمثيلات ،
ومجموعات المقالات والنقد وتراجم الكتّاب وكتب عن المسرح
والسينما والراديو والاذاعة والمحاضرات العامة والصحافة ،
وكتب فى دراسة اللغات ، ومجلات نقد الكتّاب والمجلات
الأدبية ، وتسجيلات صوتية لأعظم التمثيلات وهكذا .
وفى قسم علم النفس والتربية وجدت الكتّاب الذى ارى على
أرفف مفتوحة للجهمور حيث الكتّاب موضوعه وضعاً مسلسلأ
حسب نظام فهرستها . وبسرعة اهتديت الى القسم الذى به الكتّاب
فلما وجدت رأيتنى انظر الكتّاب الأخرى ، الموضوعه الى جواره
والتي تبحت فى نفس الموضوع تبعاً لنظام التويب الذى يقتضى
ترتيب الكتّاب ذات المواضيع المتقاربة ، متقاربة على الأرفف
تبعاً لتقاربها فى الموضوع . وامكننى بهذه الطريقة ان اتصفح
أكبر مجموعة من هذه الكتّاب وان اغير رأى فى الكتّاب الذى
كنت اعزّم استعارته .

وفى الطابق الثانى وجدت الأقسام الأقل التصاقاً بجمهرة
الزوار . فهذه غرفة من طراز خاص فى أثاثها وترتيبها ، وهى
منتدى يعرف باسم منتدى « ادجار ألن پو » ، وهو شاعر أمريكى
معروف اهتمت به مكتبة المدينة التى اقترن اسمها باسم الشاعر
فجمعت مؤلفاته فى طبعاتها المختلفة ، وجمعت الكتّاب والمقالات
التي كتبت عنه وما الى ذلك . وهذا المنتدى هو النادى الوحيد

فى العالم الذى يشترك فيه من يعجب بالشاعر . ولعلك عرفت
الآن اننى اصف لك مكتبة « اينوخ پرات » بمدينة بلتمور .
وفى الطابق الثانى وجدت اقسام المكتبة من فهرسة
وتبويب الى قسم اختيار الكتب وثالث خاص بالمكتبات
الفرعية ورابع خاص بالخدمات الخارجية فى المدارس
والاندية وغيرها من المؤسسات .. ولما ذهبت الى حجرة
الاخصائى الاول للمكتبة (المدير) وجدت حجرة منزوية
بعيدة عن الجمهور لانها ليست حجرة وظيفية للخدمات المباشرة
للناس كاقسام المراجع والاقسام الموضوعية الاخرى بل هى
لا تتعلق بالجمهور إلا فى حالات خاصة فهى المشرفة على الخدمات
الداخلية للمكتبة .

ولما اقتربت من الباب وجدت لافتة كتب عليها « ادخل
بدون استئذان » فلما قابلته وأطربت له ما رأيت . قال - هذه من
آثار سلفى أما انا فأتبع خطاه .

فعرفت كيف يسير هؤلاء القوم قدما فى مشروعاتهم
وليس هذا التقسيم الموضوعى بالتقسيم الملائم لكل مكتبة
لانه لا بد من وجود مجموعات ضخمة من الكتب فى كل
موضوع ، وهذا لا يتيسر إلا فى القليل النادر ، واما المكتبة
العادية الشعبية فعبارة عن ركن للأطفال وركن للبالغين
وما يتطلبه من خدمات الاستعلام والمراجع وغيرها . والكتب
فيها مرتبة حسب موضوعاتها الميوبة تبعا لتقسيم عددى

يعرف باسم تقسيم « ديوى » وهو أشهر نظم التوبيب المعروفة
فى فن المكتبات.

وامتداد خدمات المكتبة عن طريق المحاضرات أو عن
طريق مرشد القراءة ، وامتدادها الى الاندية والمؤسسات أمور
جديرة بان نوليها بعض العناية فهى تقوم على أساس ان المكتبة
ترمى الى هدم الفكرة العتيقة القائلة بان الانتهاء من التعليم ينتهى
بانتهاء المدرسة . كما انها حاولت أن تؤكد بجودها ان خير وسيلة
لتعليم الشئ تكون فى الوقت الذى يحتاج فيه الانسان الى
معرفة ذلك الشئ .

ومن ثم تحاول المكتبة جهدها الانصال بالاس بشقى
الوسائل لتغيرهم بالانتفاع بكتبها وبرامجها التى تنظمها للبالغين
الذين يريدون اتمام تعليمهم بعد ان انقطعوا عنه منذ غادروا
المدرسة . وكثيراً ما أعانت المكتبات الشعبية او المكتبات
العامة على تكوين الملكات التى نجحت وكانت آية على مجد
الانسان فى المخترعات . وفضل المكتبة الشعبية على أديسون
غير منكور فى تكوينه ودراساته التى أدت الى اختراعاته
العظيمة . كما ان هناك عشرات العباقرة فى مختلف نواحي الآداب
والفنون ممن انتفعوا بالمكتبات فى تكوينهم ، وعشرات من
المخترعين والاسانذة والشعراء والأدباء الذين نالوا الجوائز
العالمية انما انتهوا الى هذه القمم التى صعدوا اليها لان المكتبات
الشعبية كانت لهم مصباحاً هادياً فى طريقهم الى المجد . . وكانوا

فقراء غرباء لا حول لهم ولا قوة فوجدوا في المكتبة الشعبية
الركن المشرق الذي يغذى القلب ويرفع النفس وينير الفكر ..
هؤلاء العباقرة الخالدون هم تلاميذ المكتبة الشعبية.

واذا كانت المكتبة تعنى بالقراءة واشاعتها فالك تجد
كثيرين كل همهم ان يفعلوا ذلك هرباً من الواقع وأملاً
في الابتعاد عنه. وفي هذا الهرب نقص وضعف وخذلان
لأننا يجب ان نواجه الحياة وان نعالج الواقع ولكن السياسة
التي اتبعتها المكتبة الحديثة لتنظيم القراءة بايجاد جماعات مختلفة
تقرأ كتباً معينة لنقدها والتحدث عنها مكنت من ايجاد الحوار
والمناقشة وتبادل وجهات النظر فيما بينهم . وبالتالي الى مشاركة
ثقافية لا يستطيع الفرد ان يجدها عن طريق آخر.

ولهذا فلقد نظمت المكتبات في الغرب برامج من هذا النوع
يساهم فيها من يشاء . وقد تكون هذه البرامج منظمة لمدة طويلة
لتعليم مهنة او لدراسة مستمرة لفترة كافية لان يكون الشخص
خبيراً بموضوع بعينه كما بينا هذا في مكان آخر من هذه الفصول.
وكل ما يمكن ان يقال الآن ان المناقشات تكون وسيلة
لتكوين الرأي السليم والاقتناع في جو من الحرية ليستمد قوته
من وزن كل رأى وسبر غور كل نقد فيتكون على الايام رأى
عام وتتكون أسس ثقافية وروابط فكرية بين المواطنين تكون
دعامة القومية . وكثيراً ما يساهم الاجانب في هذه الاجتماعات
والمناقشات فيوسع المجال لايجاد روابط عالمية انسانية لا قومية فحسب.

وقد يقوم أخصائى المكتبة بالحديث عن موضوعات أخرى
وتكون مجموعة من الكتب التى تعالج هذه الموضوعات معدة
للاشارة لمن يحبون الاستزادة من الاطلاع. وليس من الضرورى
ان يكون ذلك داخل المكتبة فتمتد هذه الخدمات الى الخارج
كما قلت. وقد أدت هذه السياسة فى كثير من الأحيان الى
انتهاز الاخصائى فرصة هذه المحادثات ليتكلم عن المكتبة كلمة
خلال الحديث. وكثيراً ما أدت هذه الطريقة التى تبدو غير
مقصودة الى ازدياد نسبة رواد المكتبة وارتفاع نسبة القراءة.
واما الاحاديث نفسها فكثيراً ما أدت الى نتائج ملموسة
الاثر. ففى ولاية «لوزيانا» أدى برامج محاضرات
ومناقشات عن هندسة البناء الى ارتفاع مستوى المباني عما كان
عليه من قبل، كما أدت محاضرات وكتب اخرى عن التمثيلات
الممتازة الى ارتفاع مستوى هذا الفن فى البيئة المباشرة،
الى غير هذا وذاك من مئات الامثلة التى تلمح فى ضوءها نتائج
هذا اللون من نشاط المكتبات فى الغرب.

فاذا عرفنا هذا وعرفنا الصلة بين المشتغلين بالمكتبة والجمعيات
النسائية والاصلاحية والمدارس والهيئات الاخرى واذا عرفنا
ما تؤديه المكتبات من خدمات عن طريق الاستعلام والارشاد
عرفنا انها بحق مركز النشاط الاجتماعى التى يتبلور فيها ويبدو
جليا للعيان.

واذا كانت الجامعات اليوم والمدارس المنظمة البراج يلتحق بها

من يتفرغون لها فليس معنى ذلك أن يهمل هؤلاء الذين يريدون
اتمام تعليمهم . وإذا كان كثير من الناس فارقوا مقاعد التعليم
لانهم لم يجدوه شيقاً بل وجدوه سقيماً بعيداً عن الحياة فان المكتبة
الشعبية تحاول جهداً ان تبين من الناحية الأولى ان التعليم
لا يفتهى بانتهاء المدرسة ، بل من الممكن ان يكون عن طريق
المكتبة على نحو أكثر حرية ، كما انها تحاول من ناحية ثانية ان
تبين ان خير المعرفة هي التي يحتاج المرء اليها حين يعوزه
الامام بها ، وحين يشعر بتفتح ذهنه اليها .

والى جانب هذا وذاك فان تعويد البحث وتزجية وقت
الفراغ على خير وجه ممكن من أهم الغايات التي تسعى المكتبات
في الغرب الى تحقيقها .

وهكذا نجد هذه المكتبات قد ساهمت على نحو ملموس
في خدمات اجتماعية ووظائف ثقافية تربوية من الاهمية بحيث
لا يجوز اغفالها بعد ان اختت ضرورة المدارس نفسها
فالمدرسة والمكتبة مؤسستان تعليميتان إحداهما للتعليم الرسمي
والاخرى للتعليم الذي لا يتقيد بمنهج ولا برنامج ، وتغلب عليه
الصبغة الحرة بدلا من الصبغة الرسمية في المدرسة . وإذن فمن
يشكر على الناس حقهم في توفير خدمات مكتبية لهم هو كمن يشكر
حق التعليم ويبعدهم عن مورد الثقافة .

فها نحن وقفنا على ألوان من نشاط المكتبة العامة فهي ليست
كتبا تعار للخاصة ، وهي ليست خزانة تحتاج الى خازن ، وهي

ليست بعيدة عن القارىء وتعتقد أمامه الأمور . وإنما هي مؤسسة اجتماعية تتخذ المكتب وسيلة للتعليم ، وهي مدرسة أو جامعة حرة والقائم عليها معلم ومرب يفهم واجباتها وغاياتها وتفاصيل العمل المؤدى الى تحقيقها ، وهي تجعل القارىء أساساً فى تفكيرها لأنها ترمى الى خدمته . فمن أجله قامت ، وبماله أنشئت فالمكتبات ليست دوراً للمكتب والقائمون بالأمر فيها ليسوا أمناء .

المكتبات الخاصة

ليست المكتبات الخاصة هي ما يفهم من مدلول الاصطلاح لأول وهلة فهي لا تطلق على مكتبات الافراد وإنما المقصود بها أن تكون غير شعبية أو غير عامة وذلك مثل مكتبات الجامعات والكليات والمدارس والشركات والاندية والجمعيات والمعامل والمصانع والسجون والمستشفيات ، فهي على الجملة المكتبات التى تخدم طائفة خاصة أو الملحقه بمؤسسة معينة أو التى تختص بموضوع معين مثل مكتبة « فولجر » التى تحتوى على اعظم مجموعة من كتب شكسبير والمكتب التى ألقت عنه بحيث تعتبر اعظم مرجع عن شكسبير الانجليزى وهى ليست انجليزية بل هى امرىكية بمدينة واشنطن . وقد أنشأها أحد رجال شركات البترول من ماله الخاص تقديرأ منه لذكرى الشاعر الخالد . ومثلها مثل مؤسسات أخرى قامت على أيدي أفراد رأوا ان يشجعوا العلم

والثقافة بما لهم ، وذلك في البلاد المادية الحضارة !
ولما كنا سنتحدث عن مكاتب الجامعات والمدارس في غير
هذا المكان فلنتحدث هنا عن ألوان أخرى من المكاتب
الخاصة . وإذا كنا نعني مكاتب التجارة والشؤون التجارية
والاعمال فلن نجد أعظم من مكتبة إحدى ضواحي مدينة
نيويورك وقد صارت مثالا لهذا النوع من المكاتب وأعني بها
مكتبة الاعمال بضاحية « نيووارك » التي تعتبر مركزاً للتجارة
بفروعها المختلفة كما أنها تعتبر مركزاً صناعياً متازاً . وقد أنشئت
منذ عشرات السنين على يد رجل من أعلام المكاتب هو
« جون كوتون دانا » مع شخصين أو ثلاثة . وليس لي ان أحدثك
كيف كانت ضئيلة الشأن في بادئ الامر ثم اصبحت علماً في
ميدان المكاتب التي تعالج الشؤون التجارية والصناعية . وما
كانت لتكون كذلك لو لم تكن الضاحية التي أقيمت فيها
تجارية صناعية .

وانك لو اجد هناك نظاماً وخدمات لا تراها في الشرق ففهمها
مراجع واستعلامات عن أدق ما يمكن ان يستعلم عنه تاجر او
صانع او من يمت الى التجارة والصناعة بصفة . فهناك دليل المدينة
ودليل المدن الاخرى والسكتب السنوية للمنتجين والسكتب
السنوية لكل من يشتغل بالصفاة والتجارة ، وهناك احصاءات
عن تجارة العالم وأسواقه وتطورها وأخرى عن الصادرات
والواردات ، إلى جانب الخرائط التي تبين شؤون الاتساج

والصناعات والمواد الخام، ونشرات تسجيل أسعار السلع والمنتجات وأخرى تسجيل الاختراعات والتحسينات التي ادخلت على كل باب من أبواب الصناعة والفنون العملية. كل ذلك الى جانب النشرات العالمية والدولية التجارية والصناعية، وفهارس هذه النشرات والاحصاءات والسجلات، وكتب عامة للارشاد في كل هذه الأبواب. وانك لا تجد هذه الكتب فحسب، بل تجد كتباً أخرى ليس ما ذكرت إلا مثلاً مما يجب ان يذكر. والأهم من هذه الكتب بقضها وقضيضها هو الخدمات التي تؤدي والمطالب التي تجاب عن كل استفهام واستعلام تقوم به فتيات ونساء وشباب وكهول عرکوا هذه الكتب وتمرسوا في اختبار هذه المراجع بحيث يستطيعون أن يدلوك هما تريد في أقصر وقت ممكن. فالخبرة والمران في شؤون المراجع والاستعلام من الأمور الهامة ومن الشروط الرئيسية التي لا تكون بدونها خدمات مجدية. ولو انك أتيت بهذه الكتب جميعاً في أيدي لم تمارس البحث فيها ولم تدرس خصائص كل منها لما استطعت ان تبلغ مما تريد شيئاً. وقد زرت بضع مكاتب في بلادنا ووجدت فيها كتباً قيمة تعتبر من عيون المراجع، ولكني وجدت القائمين بالأمور عليها لا يستخدمونها ولا يفيدون منها لانهم لا يعرفون من أمرها أكثر من انها كتب من ضمن الكتب التي كتب لها أن تخزن وان تحكم الأبواب عليها خوفاً من العبث بها او حرصاً عليها من الضياع.

وأساس العمل فى المكتبات الخاصة هو توفير المعلومات المطلوبة بأسرع ما يمكن . فإذا كانت المكتبة تابعة لشركة من الشركات وطلب منها ان تجيب عن سؤال يتعلق باحصاء أو انتاج أو اسعار فيجب ان تكون الاجابة سريعة حاسمة ، لان ارباب الاعمال الوقت لديهم من ذهب ، ولا طاقة لهم على احتمال البطء . ولذلك كان أهم ما يحتاج اليه الشخص الذى يعمل فى هذه المكتبات الخاصة ان يكون وثيق الصلة باستمرار بكل ما ينشر عن مؤسسته واعمالها والشؤون التى تمت الى هذه الاعمال بصلة وكثيراً ما يحتاج الاختصاصى فى المكتبات الخاصة الى الاستعلام من مجموعات قصاصات الجرائد أو النشرات اليومية التى جمعها فى ملفات خاصة وبوبها تنوياً موضوعياً يتفق والاصطلاحات المستخدمة فى الشركة أو فى المؤسسة . بل لا أغالى كثيراً اذا قلت انه يضطر الى الاتصال بالخطابات والرسائل والتليفون ، بل ويستخدم البرق كما يأتى بالاجابة المطلوبة عن استعلام يعنيه ما دام يعرف مصدره .

والافراد العاديون لا يستطيعون فى كثير من الاحيان القيام بالاجابة عن الاستعلامات بانفسهم لانهم اذا توفرت لهم الخبرة فكثيراً ما يعوزهم ثمن الكتب التى تعتبر كتب مراجع فى التجارة والصناعة والشؤون العملية والمهنية كالطب والزراعة والهندسة واعمال القانون وغير ذلك ، وهى كتب

أو نشرات تصدر على نحو دورى ، أى هى بالمجلات أشبهه .
وهى بهذا تكون أكثر قدرة على تسجيل الجديد المتطور فى
هذه الشؤون .

ومن المكتبات الخاصة مكتبات المتاحف وهى تحوى مجلات
ومطبوعات ومجموعات من الكتب فى الموضوعات التى تتصل
باختصاص المتحف سواء فى ذلك الآثار أو التاريخ الطبيعى
أو الفنون الجميلة أو معارض الصناعات والشؤون الزراعية .
والاخصائيون والاساتذة وطلاب العلم والهواة كثيرأ ما يفتيدون
من مثل هذه المكتبات . وخدمات هذه المؤسسات لا سبيل الى
الشك فى قيمتها خاصة لمن أفاد منها فعلا وعرف ما يتجه اليه
التنظيم الحديث فيها من تسهيل . وقد رأيت كيف ان اخصائيا
فى شؤون الآثار استعان بمكتبة المتحف كيما يحقق ما اذا كانت
التحف التى عرضت عليه أثرية أو مقلدة حتى استطاع الاهتداء
الى ذلك حينما جاء ذكرها فى دليل التحف التى بيعت فى المزادات
فى القرن الثامن عشر .

ومن المكتبات الخاصة كذلك تلك التى تكون ملحقة
بالمستشفيات وتكون غالبا للمرضى لا للأطباء حيث ان هؤلاء
لهم مكتبات أخرى أكثر عناية به. وكون الطب والعلوم والابحاث
الطبية ، وهى غير المكتبات التى نلحقها هنا بالمستشفيات .
والقراءة وسيلة من وسائل العلاج النفسى لمن يستطيعها ، فهى
من أنجع الوسائل التى ينسى بها المريض آلامه وأحزانه ، إذ

انها تشغله عن التفكير في حالته . ويلاحظ في اختيار الكتب التي تقدم للمرضى ان تكون بعيدة عن الجو الحزين والمأسى المفجعة ، وانما تكون مفعمة بالامل والاشراق كيما يشرف المريض منها على العالم متفائلا يستقبل بها الحياة كما يستقبل يوما مشرقا وضيئا .

وكان الدافع على ايجاد هذه الخدمات في الغرب التفكير في توفير وسائل نفسية وجو نفسى لا يجعل المريض منفردا بعلمته وآلامه مما قد يزيد حدة المرض . ولذلك فما يكاد يقر الطبيب المعالج بان حالة المريض تسمح له بالقراءة حتى تزوره اخصائية المكتبة وقد دفعت أمامها عربية رشيقة أنيقة يتضاد لونها الابيض مع ألوان الكتب التي تحملها ، وهى تفتن في تشجيعه على القراءة بعد ان تتحدث اليه وتعرف حالته النفسية والاجتماعية ومهنته ومشاغله .

ومعظم الكتب التي تقدم للمرضى خفيفة هينة يقصد بها تزيجية دور النقاهاة . ولكن ذلك لا يحول دون وجود مرضى من القراء الذين يحبون العمق والافادة الجدية مما يقرأون . وأكثر من هذا فان حالة المريض حالة ضعف أو حالة سلمية ، ومن ثم كانت نفسه قابلة للتأثير عليها ودفعها الى أحد الامكانيات الخيرة ومن ذلك القراءة التي ترفع النفس وتسمو بها وتدفعها الى الخير والحق والجمال .

وتحتوى مكتبة المستشفى على مجموعة من تلك الكتب في

حجرة خاصة معدة كأحسن ما يكون الاعداد في ترتيبها وأثاثها ومقاعدما وضوئها الملائم للحالة الجسمية والنفسية للمرضى . وقد لا تغني الكتب الموجودة بحاجة المستشفى فتتبع الإحصائية الى المكتبة العامة في المدينة لاستعارة الكتب المطلوبة منها .

ولا أظنني أقول جديداً اذا ما ذكرت ان هؤلاء الاخصائيين وهاتيك الاخصائيات لابد ان يكونوا قد درسوا ونالوا درجة جامعية في الموضوع الذي تعني به المكتبة الخاصة التي يعملون بها سواء أكانت مكتبة مستشفى أم سجن أو مدرسة أو شركة صناعية الخ علاوة على دراسة فنون المكتبات . ففي المدرسة مثلاً نجد المدرسين الذين نالوا إجازات في التريية وشؤون التعليم وأساليبه يدرسون فنون المكتبات بعد ذلك كيما يتخصصوا في شؤونها وادارتها ما دامت المكتبة وخدمة وظيفية في التعليم الحديث كما سيأتي القول .

وهكذا تؤدي المكتبات الخاصة وظائف هامة تعين الخاصة من الباحثين والطلاب والمخترعين وأرباب الصناعة والمال والعمال الفنيين ومن اليهم على تحقيق غايات يسعون اليها ويفيدون بها الوطن والانسانية ويصبحون مواطنين صالحين ناجحين في اعمالهم ، فالمكتبة معمل خاص بالنسبة للمؤسسات الخاصة ، معمل لا يقل عن معمل الكيمياء والطبيعة وتجارب الصناعات والاختراعات . وها هنا تدلك المكتبة على انها تفيد الناس وترشدهم إلى ما يطلبون فيتعلمون عنها حتى ولو كانوا

الأساتذة الذين لا يدانهم في علمهم احد بل لا ابالغ اذا قلت
ان هؤلاء ما كانوا اساتذة الا بالمكتبة .

والآن ماذا نريد ؟

اننى أقدم هذه الفصول لانى أومن إيماناً راسخاً بأننا إذا
كننا نريد ان نهض ببلادنا ونرقى بأساليب التعليم فيها ، وان
نوجد فيها جيلاً مسؤولاً جديراً بتحمل تبعات القومية
والمسؤوليات الثقافية والعلمية والانسانية فلا بد من ان نعى
بالمكتبات وان ننظمها ، لأن المدرسة لا تكفى للتعليم ، بل إن
المدرسة نفسها لا تكون كذلك بغير خدمات مكتبية تؤدي
إلى تحقيق الأغراض التعليمية على أساس سليم . . .
نريد ان ننشئ المكتبة كما أنشأنا المدرسة . . . ونريد المكتبة

بالمعنى الصحيح الذى يجب ان ينطبق على مدلولها الصحيح .
نريد ان نقيم مكتبات على أساس سليم ، ونريد ان ننشئ
المعاهد لتخرج اخصائيين من ذوى الثقافات الرفيعة فى كل فن ،
ونريد ان ندخل دراسة المكتبات وأساليبها فى كل دراسة ليتعلم
الطالب وسائل البحث وإيجاد المراجع واستخدامها فى أبحاثه
ورسائله ، ونريد ان تدرس فنون المكتبات ونظرياتها التربوية
والاجتماعية فى معاهد التربية ليعرف المعلمون كيف يبحثون
وكيف يرشدون الطلاب الى للبحث ، ونريد مثل هذه الدراسة
فى معاهد الصحافة والخدمات والدراسات الاجتماعية وغيرها .

نريد مكتبة سليمة واهصائين مثقفين ، لان الذى يقدم
الطعام يقدم معه الشهية .. ولان هذا الطعام ضرورى كالحبز ..
ضرورى للطالب والباحث والاستاذ ورجل الشارع والرجل
الذى ينام على الحزير ..

نريد اساسا اجتماعيا يقوم على المشاركة الثقافية وايحاء
روابط فكرية وهاطقة مشتركة بين ابناء الوطن الواحد لتكون
القومية السليمة وليترى الفرد الاجتماعى .

نريد ان نوجد علماء ومخترعين وان نكشف عن المواهب التى
اضطر اصحابها الى مغادرة المدرسة اضطراراً لتأخذ مواهبهم
سديلاها فى الحياة .

نريد ان نمحو أمية الاميين فى الريف . ونحو الامية لا يكفى
ما لم تكن هناك مكتبة حية تغرى الفرد على تجديد معلوماته
والاضافة اليها .

نريد ان نوجد وسائل ثقافية لتزجية وقت الفراغ الذى
يضيع فى للطرق والمقاهى والظلام والخوف والقرود .

نريد ان نمحو أمية المتعلمين الذين قطعوا الصلة بينهم
وبين المعرفة والثقافة منذ غادروا مقاعد العلم ونالوا الاجازات
التي هى بمثابة جواز مرور للوظيفة أو شارة حسنة يياخى بها
اصحابها فى المجتمعات .. كل هذه جهود ضائعة وطاقة مهددة
وذهب يضيع ترابا تذوره الرياح .

نريد المكتبات لانه نريد المعرفة والثقافة للجميع على حد

سواء وبلا تفرقة بين طفل او شاب او كهل او زوجة او عروس
او جدة شيخخة . نريد المعرفة لكل فرد حسب ثقافته وعقليته
وحالته . وليس من الضروري ان تكون المعرفة بقراءة ايشيتين
ولا سيمينوزا ، بل يكفي ان يطلب كل فرد ما يريد . وهو ان
طلب التافه اليوم فسوف يطلب على الايام ما هو حقيق بان
يبقى ويسمو به .

لنشعل المشاعل من النار المقدسة التي كانت لبروهيثيروس
البطل القديم .

مَدَّ الْقَبَدَ إِلَى السَّاعِ

« هِيََا أَنْتَخِرْجَ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ الْعَتِيقِ الْمَظْلَمِ لَنَرَى
النَّاسَ فِي ضَوْءِ الْحَيَاةِ »

المكتبة الحديثة مكتبة ديموقراطية تؤدي خدماتها الى رجل الشارع والعالم ، وتخدم الصبي والطفل والفق والفتاة ، كما تسعى الى المدرسة والمستشفى والسجن ومراكز الخدمات الاجتماعية والمدارس . ومعنى هذا كله هو أن المكتبة لا تفرق في خدماتها بين طوائف المجتمع بل تسعى إلى هؤلاء جميعاً بشتى وسائل الدعاية والاعلان حتى يتضاعف روادها ويزداد عددهم فيفيدون من مناهلها

تلك هي سياسة المكتبة العامة في البلاد الديموقراطية وهي تعمل على توفيرها لتحقيق مبدأ إتاحة الفرص المتكافئة للمواطنين كيما تنمو ملكاتهم ويتموا دراساتهم حتى تتجلى بميزات كل عقلية وشخصية وتنال مكانتها الفردية والاجتماعية وإذا أردنا أن نستعرض أغراض المكتبة العامة وجدنا أنها تعمل على :

نشر الثقافة وذيوع العلم .
تهذيب الذوق والملكات الجمالية .
العمل على تزجية وقت الفراغ على خير وجه ممكن .
تنظيم دراسات حرة لمن يريدون اتمام تعليمهم الادبي أو الصناعي أو المهني .

ارشاد الجمهور ارشاداً صحيحاً عما يريد أن يعرفه في شتى نواحي الثقافة والقراءة ، بل انها لترشده إلى أى ناحية من نواحي العمل أو التجارة أو السفر أو الاتصال بالخارج أو الاسعار وغيرها .

والمكتبة وسائل متعددة في تحقيق هذه الأغراض وما ينطوي
تحتها ، فهي تستخدم الصور والتسجيلات الصوتية والأفلام
وقصاصات الجرائد والمحاضرات والمناقشات والاعلانات
والنشرات إلى جانب الكتب . وهي تسعى إلى الريف ، في
مكتبات سيارة إذا كان من المتعذر إقامة مكتبات لصغر القرى ،
كما أنها تجعل مبانيها سهلة جميلة بسيطة جذابة بمعارضها الزجاجة
التي تكون عادة مرئية من الخارج لمن يسير ، وتحاول أن تحتل
بمبانيها مركزاً رئيسياً ليكون قبلة الأنظار . وتبدو ديموقراطية
المكتبة الحديثة في نظامها الداخلي في مظاهر أساسية .

فهى تحطم الحاجز بين القارىء وبين الكتاب فيجاد الكتب
موضوعة على أرفف مفتوحة فى متناول اليد وتكون مبهوبة
حسب تقسيم « ديوى » أو غيره ، وتقسيم ديوى يقسم المعرفة
إلى عشرة أقسام بارقام مئوية فما قبل المئة هو المؤلفات العامة
والفهارس ودوائر المعارف والدوريات العامة والجمعيات
والمتاحف والصحف والمكتبات و ١٠٠ تشمل العلوم الفلسفية
و ٢٠٠ الديانات و ٣٠ العلوم الاجتماعية و ٤٠ العلوم اللغوية
و ٥٠٠ العلوم البحتة و ٦٠٠ الفنون العملية و ٧٠٠ الفنون
الجميلة ووسائل تزجية أوقات الفراغ و ٨٠٠ الآداب و ٩٠٠
التاريخ والجغرافيا .

ولكل من هذه الأقسام فروع رئيسية مثلاً ١١ تابعة
لـ ١٠ وهى الفلسفة ولكنها تخص الميثافيزيقا وهى فرع من

الفلسفة و ١٥٠ داخله في الفلسفة كذلك ولكنها تخص علم النفس الذي يعتبر فرعاً من الفلسفة ايضاً و ١٥١ في الفلسفة كما ان الـ ٥ تشير الى علم النفس وهو فرع الفلسفة كذلك ولكنها خاص بجزء معين منه لانه خاص بالذكاء فاذا أردنا العبقرية من الناحية النفسية وجدناها ١٥١ ر ١ واذا أردنا العبقرية وصلتها بالجنون والشذوذ وهي دراسة نفسية كذلك وجدناها ١٥١ ر ٦٢ وهكذا ندين أن ١٥١ ر ٦٢ تشتمل على أرقام يعبر كل منها في خاتمه عن موضوع خاص حسب التقسيم المذكور .

والكتب ترتب في الأرفف على هذا الأساس العددي مع وجود لافتة خاصة بعنوانين الموضوعات الرئيسية لارشاد القارئ .

ويترب على هذا التقسيم وضع الكتب التي في موضوعات واحدة في مكان واحد لا يختلف تقدمها أو تأخرها إلا على حسب اسم المؤلف وكذلك توجد الموضوعات المتقاربة في التقسيم في أمكنة متقاربة على الأرفف وبهذا كله يستطيع القارئ الاhtداء إلى الكتب التي تدرس الموضوع الذي يريد بحثه في أقرب وقت بأبسط وسيلة كما تكون لديه فرصة للمقارنة للاختيار من بين الكتب التي تعالج ذلك الموضوع والتي يجدها متجاورة . وإلى جانب هذا فان المكتبة تسهل الاستعارة وتسهل في عدد الكتب المعارة للأشخاص ما داموا يعيدونها في

مواعيدها وإلى جانب هذا وذلك فهي تتيح خدمات المراجع والاستعلام لارشاد المواطنين في كل ما يعترضهم من مشاكل تحتاج الى استعلام .

وهكذا يتضح لنا بادي . ذي بدء ما للمكتبة من سياسة حيال المواطنين بعد ما تبين أولى الأمر في الغرب أهمية الثقافة والاطلاع في عصر المكافأة والتنافس بحيث أصبحت المدرسة لا تفي بالحاجات العلمية والمطالب الثقافية لأن المدرسة مهمتها تعلم النشء فحسب دون أن تتجاوز هذا الحد مما يترتب عليه أهمية وجود مؤسسة عامة تكفل حاجات هؤلاء النشء بعد تخرجهم كما تكفل غيرهم بحيث توفر لهم أسباب الارشاد والاطلاع والاستفادة من وقت الفراغ ، وتهذيب الذوق وصقل الممكتات ، وتيسر لهم أيضاً وسائل التكيف بالوسط الاجتماعي المتغير المتطور بحيث يعيش المواطنون في انسجام اجتماعي بعيداً عن الخلخلة والاضطراب . ومن هنا كانت أهمية المكتبة باعتبارها مدرسة غير محدودة الأفق لانها مدرسة الجميع . وبالتالي قل انها مدرسة الحياة .

فكيف تطورت إذن المكتبات خلال التاريخ حتى وصلت الى هذا الحد ؟ وكيف انما في بلادنا وبلاد الشرق وقفنا عند مرحلة متأخرة من مراحل هذا التطور بحيث لا زلنا نعتقد أن المكتبة هي خزانة الكتب ؟ فلنقف على لمحات خاطفة وصور سريعة من هذا

التطور التاريخي

إن معابد مصر الفرعونية القديمة تسجل في معابدها آثاراً
لخزائن كتب كما أن معابد آشور وبابل تسجل آثاراً أقدم لهذه
المؤسسات . وتوجد بقايا من الألواح التي كان يكتب عليها
الآشوريون في المتحف البريطاني . ويقال إن واحدة من هذه
المكتبات كانت مرتبة ومبوبة بحيث كان يجب الإشارة إلى رقم
المخطوط حين يراد طلبه . أما المكتبات في مصر فتنسب أقدمها
إلى رمسيس الأول ثم تأتي مكتبة الاسكندرية التي تنسب نشأتها
إلى بطليموس الأول ويقال أنها كانت أعظم مكتبات التاريخ
القديم وأنها حوت من أربعمائة ألف إلى سبعمائة ألف مخطوط
وظلت كذلك حتى أتت عليها النيران في القرن الرابع قبل
الميلاد ، وأصبح من المعروف علمياً أن إحراقها لم يكن على يد
العرب حين فتحوا مصر . وأسهل مرجع للرجوع إليه في هذا
الامر دائرة معارف (كومبتون) المصورة ، ويقال إن مكتبة
الاسكندرية كانت أكاديمية ومجمع علماء وباحث يتخذون حداثتها
الوارفة الطلال ملتقى للتدريس والجدل .

وقد كان ليوليوس قيصر فكرة إذاعة المكتبات وتعميمها
في روما كيما يجعل « عبقرية العباقره حقاً مشاعاً للشعب » حتى
لقد احتضنت المدينة الامبراطورية نيفاً وثمانية وعشرين مكتبة

ما لبثت أن اختفت بانحلال الحضارة الرومانية .
وهنا نلاحظ في تاريخ المكتبات قديما أو حديثا انها كانت
مؤسسات ملونة بألوان حضارتها الى أبعد حد بحيث كان يطيب
دائما لمن ينتصر على عدوه أن يحطم المكتبات التي خلفها من
سبقة كما لو كان يحطم روح النظام الذي يبغيه ويحاربه .
وكانت المكتبات ملحقة بدور العبادة أو القصور أو المدارس .
وهذه كلها أمكنة تتركز فيها روح الحضارة والنظام القائم .
وكذلك كان الحال في المكتبات في العصور الوسطى الاسلامية
والمسيحية ، فقد كانت هناك مكتبات على النحو المذكور وكلها
ذات طابع من الحضارة السائدة . وتبدو مكانتها في العواصم
الاسلامية الكبرى حين كان يفد عليها طلاب العلم وشيوخه ،
وكان الخزانة يقومون بما يسهل حفظ المخطوطات وترتيبها
وعرضها وإعارتها مما يجعلنا نقدر جهودهم .
ويذكر كل من صبح الأعشى (جزء أول طبعة
دار الكتب ص ٤٦٦) كما يذكر توماس في كتاب (المكتبات
الوسيطة في فصل المكتبات الاسلامية ص ٣٤٧) ما كان في
العواصم الاسلامية من مكتبات من أشهرها خزانة كتب
العباسيين ببغداد التي يزعم بعضهم انها حوت ثلاثة ملايين من
المجلدات ، وخزانة كتب بني أمية في الأندلس . كما يقال إن
عدد مكتبات قرطبة كان لا يقل عن سبعين مكتبة وقد أتلفها
جميعا ملوك الطوائف . ومن الخزائن الهامة كذلك خزانة

الفاطميين بالقاهرة ، كما يطلعنا تاريخ المكتبات في القاهرة على آيات من تسامح الاسلام وهى ميزة من مميزات حضارة فقد كان بالواصح الاسلامية مكتبات خاصة ببعض اليهود منها مكتبة يعقوب بن كليس وافرأيم الطبيب وكاتنا من أغنى الخزائن في القاهرة .

وقد أحرقت هذه الخزائن أو ائلفت على يد الغزاة وهم عناصر أجنبية او همجية في الغالب مثل ملوك الطوائف أو التتر . وهذا المسلك من عناصر معادية في الحضارة أو العقيدة يؤكد ان هذه المؤسسات كان يتمثل فيها النفوذ الروحي للحضارة الاسلامية وخاصة انها كانت مرتبطة بالدين والسلطة الدينية مباشرة .

وكذلك كانت المكتبات في الحضارة المسيحية في العصور الوسطى وقد بدأت على يد القديس بنديكتين الذى ألزم رعاياه بقراءة الكتب المقدسة وكتابة نصوصها مما ترتب عليه وجود مجموعة من المخطوطات في كل كنيسة ومعبد . وقد ظلت الكنائس مركزاً للمعرفة حتى انتقلت سلطتها الى الجامعات التى هى أقدم في مكتباتها من المكتبات العامة أو مكتبات الدولة كما سنبين ذلك في فصل تال .

ويمكنك أن تطالع كتاب توماس الآنف الذكر لتلاحظ تفاصيل المرحلة الجديدة من مراحل التطور إذ نجد أن المكتبة قد فرضت لنفسها مكانة مدنية إلى جوار مكانتها الدينية التى

كانت مهيمنة كل السيطرة من قبل ويتمثل هذا في مكتبات الجامعات الأوروبية القديمة حتى إذا كان عصر النهضة وشاعت الطباعة استقل التفكير عن الدين أكثر مما سبق ورأينا الإقبال على المؤلفات الكلاسيكية اليونانية والرومانية ، ورأينا على وجه عام إقبالا على الكتب والقراءة مما أدى إلى إنشاء مكتبات مدنية بحتة مثل المكتبة الأهلية بباريس ومكتبة المتحف البريطاني والمكتبة الملكية في كل من برلين وميونخ والمكتبة الامبراطورية في موسكو . وبالرغم من ذلك كله لا نجد المكتبات الشعبية على أى نحو من الأنحاء بل كانت تخدم الخاصة من العلماء والباحثين .

انبعث أول نداء بالمكتبة العامة على يد مارتن لوثر الذى اعتبرها ضرورية للتعليم . أما المكتبة في روحها الشعبية التى نرى آثارها اليوم فيمكن إرجاعها إلى العقلية الأمريكية والانجليزية . فقد كان الزعيم الأمريكى بنجامين فرانكلن أول من نادى بوجوب تمويل المكتبة الشعبية بمال الحكومة ، وعلى هذا الأساس أقام مكتبة فيلادلفيا سنة ١٧٣٢ فلما نجحت الفكرة أخذت البلاد الأخرى تحذو حذو المدينة التى وعدت المجد والذكر . ففى نصف القرن الثالى صارت المدن تتنافس فى إيجاد مثل هذه المؤسسات فى أمريكا و إنجلترا . ويجد أن معظم الولايات الأمريكية أقرت إعفاءها من الضرائب ثم اتجهت اتجاها عجبا ، فقد أقرت فرض ضرائب خاصة تجبى من

الأفراد ضمن الضرائب العامة للخدمات المكتبية، وأصبح للمكتبات شأن يذكر بعد أن نهض رب المكتبة الحديثة ميلفيل ديوي الأمريكي (صاحب التويب المعروف باسمه) بإنشاء اتحاد المكتبات الأمريكية سنة ١٨٧٦ وظلت المكتبات تبنى قدما في أمريكا وغيرها حتى صار عدد المكتبات العامة أكثر من ستة آلاف إلى جانب مكتبات الجامعات والمدارس والمؤسسات الأخرى.

واستمر اض تاريخ المكتبات الشعبية يعطينا عنه فكرة كتاب مثل (اختيار الكتاب لويلار) سواء في إنجلترا أو في أمريكا، ومنه ندين أن كثيراً من المؤرخين قد اتجهوا إلى القول بأن التطور الاجتماعى والنهضة الصناعية وما ترتب عليه من تضخم الثروة وارتفاع مستوى المعيشة وقيام الجهات الممالية فى القرن التاسع عشر كان له أكبر الأثر فى تنظيم العمل وتحديد ساعاته مما نتج عنه وقت فراغ لم يكن موجوداً فلم يكن لمثل هذا التطور الصناعى أثر فى المطالبة بإيجاد مؤسسات تعنى بعقلية العمال وتهذيبهم وتزجية وقت فراغهم على أفيد نحو ممكن. وقد ساعد على ذلك ما أصبح لرجل الشارع من سلطة وشخصية وحقوق سياسية، فالى أى حد تصدق هذه النظرية؟

وما هى العوامل الاجتماعية المساعدة على هذا التطور؟

النهضة الاجتماعية

ولعله من المفيد لنا أن نقف على مثل هذه العوامل لنعرف أن المكتبة ثمرة من ثمراتها والواقع أن تحديد العوامل الاجتماعية أمر من الصعوبة بمكان نظراً لتداخلها بحيث يصعب فصل مؤثر بعينه عن بقية المؤثرات. ولذلك فإن التعصب للرأى السابق الذى يقول بأن التطور الصناعى أثر تأثيراً مباشراً على نشأة المكتبات الشعبية لا تويده وقائع التاريخ فى نشأة المكتبات الشعبية فى كل أمريكا وإنجلترا إذ أن الظاهر من هذا التاريخ كما نادى بذلك «ويلار» الآنف الذكر أن أفراداً ممتازين بالثقافة والمكانة وحب الخير هم أصحاب الآثار المباشرة فى إقامة هذه المؤسسات .

ففى إنجلترا لم تظهر رغبة اجتماعية فيما يتعلق بطلب هذا النوع من الخدمات قبل أن يشرع البرلمان الانجليزى تشريعاً خاصاً بانضمامها . وكذلك الحال فى بعض ولايات أمريكا . وكان يقود الحركة أفذاذ الرجال فى كل من البلدين .

بل لقد وجدت السلطات معارضة من الأهلىين فى أول الأمر حتى إذا كان جيل جديد أكثر تعليماً امكن اقناعه بفائدتها ، وما زال أهل النباهة والذكر والجاه والمال يمدون العون المادى والأدبى لتحقيق هذه المشروعات الشعبية .

وقد قدمت المكتبة فى أمريكا العون والمساعدة للأجانب الذين وفدوا إليها مهاجرين دون أن يعرفوا الانجليزية ضمن

ما أدت من خدمات . وكان من هؤلاء من ذكر لها هذا الصنيع حتى إذا أتاه العمل والجد بالغنى والمال رصد ما يقرب من خمسين مليوناً من الدولارات لإنشاء المكتبات في أمريكا وإنجلترا بين عامي ١٨٨٠ ، ١٩٢٠ وكان من شروط هبته أن يتبرع بالبناء إذا ما وهب المجتمع الذي يريد المكتبة أرضاً للبناء وأن ينفق عليها ما يعادل عشر ثمن البناء كل عام وذلك حتى يضمن وجود رغبة أكيدة ودوافع قوية للمحافظة على المكتبة والتقدم بها في سبيل التفوق باستمرار ، ذلك الفرد العلم هو اندرية كارنيجى الذى كان له أكبر الفضل في تطور المكتبات الشعبية وانتشارها في أمريكا وكندا وإنجلترا .

وإذا كنا بصدد الحديث عن العوامل الاجتماعية فلنقل إن كارنيجى هو من خلق المجتمع والعوامل الاجتماعية التي جعلته يتجه هذا الاتجاه والتربية التي غرست فيه هذا الميل ، نعم كان كارنيجى من خلق المجتمع الذى عاش فيه . وإذا كانت قد انفرد بهذه المكانة في عالم المكتبة فقد تميز غيره بالتبرعات لإنشاء المعاهد والجامعات والمستشفيات في أمريكا التي تربي فيها كارنيجى وغيره من المتبرعين ، وهذه المنشآت الأهلية تعتبر في أكثر الأحيان خيراً مما تذهب إليه الحكومة هناك . فالجامعات الأمريكية العظيمة هي جامعات أهلية لا حكومية وقس على هذا في سائر المنشآت .

ومن العوامل الاجتماعية المختلفة التي أحاطت بنجاح وانتشار

هذه المؤسسات :

- ١ — انتشار المدارس الالزامية وتعميم نحو الامة .
- ٢ — توطيد الحرية السياسية الذى يجعل المواطنين اكثر اهتماما بشئون بلادهم كما تجعلهم القوة المحركة فى توجيه سياستها .
- ٣ — حركات الاصلاح الاجتماعى ، وتبدو هذه الحركات كأثر فى تطور المكتبة الشعبية فى انجلترا اكثر منها فى امريكا بينما كان انتشار الديمقراطية وكسب الحقوق السياسية فى امريكا هو الاثر الظاهر اكثر من حركات الاصلاح .
- ٤ — وجود الاندية الثقافية وانتشارها مما نمت روح التفاهم والتبصر بالمناقشات والمحاضرات والعمل على تفتيح آفاق جديدة للثقافة .
- ٥ — الانتاج الصناعى ووجود فائض من الثروات الضخمة للاصلاح الاجتماعى والثقافى .
- ٦ — وقد ترتب على تنظيم العمل ووجود جهات للعمال وغيرهم من الطوائف الكادحة وجود وقت فراغ طويل وخاصة بعد تحديد ساعات العمل .
- ٧ — ارتفاع مستوى المعيشة حتى يستطيع الفرد قضاء حاجاته الضرورية على الأقل لىبقى له طاقة وقدرة واطمئنان للاستفادة والتحصيل لتحسين مستواه الثقافى والمهنى أو لمجرد التسلية بالقراءة واستخدام المكتبة .
- ٨ — الحاجة إلى وجود تعليم اجتماعى حر ينظم تعليم

البالغين الذين تركوا معاهد العلم ولم يتموا دراساتهم وقد وجدت المكتبات اكبر عون من المتادين بهذا النوع من التعليم المسمى Adult Education كما يظهر ذلك في اتحاد تعليم العمال في إنجلترا ومكتب العمال للتعليم في امريكا وهيآت تعليم البالغين في هذين البلدين وفي حركة التعليم الشعبي في الدانمارك وغيرها. ومما تقوم به المكتبات في هذا السبيل تنظيم مجموعات من الكتب عن موضوعات صناعية أو مهنية معدة لمن يطلبها وهي مرتبة من البسيط إلى الأصعب. ويشترط فيمن يريد أن يواصل هذه القراءة أن يستمر مدة كافية ليتردد على المكتبة في أوقات معلومة من فراغه. وهذا النوع من التعليم يتوقف على رغبة الشخص نفسه فيواصله بنفسه ويشرف عليه مرشد للقراءة يحفظ لكل شخص من هؤلاء سجلا عن حالته ومستواه الثقافي والمادى ويمده بالنصح كما نسهل المكتبة هؤلاء طرق الاستعلام عن الأعمال والمدارس والشركات والمعاهد التي يمكن ان تفيد كل في فنه او عمله الذي يتعلمه كما تنظم المكتبة محاضرات ومجموعات في موضوعات خاصة بهؤلاء البالغين الذين يريدون أن يتعلموا التحسين مستوى معيشتهم وإرضاء نزعاتهم.

٩ - وجود أندية النساء في المدن والقرى. وقد كان لها الأثر الملموس في إنشاء المكتبات الصغيرة في البلدان والقرى خاصة فقد كانت النساء وما زلن - وكلهن متعلقات - يشغلن وقت فراغهن في أعمال أنديةهن ويتنافسن في إنشاء المكتبات

التي تغلب عليها الروح الشعبية والى تهتم بالأطفال والصبيان وغيرهم وتنظم برامج شيقة لاغرائهم على ارتياد المكتبة . بل ان أندية النساء قد زحفت بروحها على المكتبات حتى أمكن ان تسمى المكتبة الشعبية فى أمريكا بنادى القراءة . فالمكتبة التى من هذا النوع أشبه بمنتهى مجتمع صغير منسق بمنهه ومداخله ولوحاته وزهوره حتى لتجس بانفاس المرأة فى كل ناحية من نواحي المكتبة .

١٠ - أثر التطور الاجتماعى فى ضرورة تقسيم العمل بما جعل من الواجب أن يخدم هذه المؤسسات أفراد مختصون . ولذلك وجدت معاهد لتخريج أخصائى المكتبات بل والتخصص فى فروع منها كمكتبات الأطفال أو مكتبات الجامعة أو المكتبات الشعبية أو الارشاد فى القراءة أو من يختص بموضوع فى مثل الفهرسة والتبويب والمراجع الخ .

١١ - والتخصص يستلزم الاقتباس والاستعانة بتطور العلوم الأخرى والاختراعات فى الخدمات المكتبية مثل التصوير والميكروفلم فى تصوير المجلدات الضخمة لتشغل أقل حين ممكن مثل الجرائد وتصوير صفحات من الكتب والمجلات ضرورية لبحث أو لموضوع وتستعين المكتبات أيضا بفن العمارة فى البناء ، وبفنون الصحافة والدعاية والطباعة أو علوم النفس والاجتماع وإدارة الأعمال الخ .

١٢ - التربية الاجتماعية السليمة التى تشجع كل من يجدد

فى الفن ويساهم ولو بجهد ضئيل واحترام القارىء مما جعله يقبل
على القراءة. وكل ما يمكن أن يتضمنه التعاون والتقدير والاجتهاد
والاخلاص فى العمل من معان . ويتضمن هذا أيضا احترام
المجتمع لما يؤديه اخصائى المكتبة من واجبات ثقافية واجتماعية
يشترط لها مستوى تعميم من التعليم الممتاز والخبرة بدقائق المهنة.
وبالرغم من كل هذه الاسباب فان فى استطاعة الافراد
الممتازين أن يفيدوا وأن يتبرعوا بمالهم ونفوذهم وجهودهم .
فهم كذا تسير حركات الاصلاح لتعكس الحركات الجماعية فى افراد
بالذات .

مدرسة الحياة

• ان خير تعليم هو ذلك الذى يستطيع الفرد أن
يناله بنفسه . ولهذا فان المكتبة العامة للقادة
يجب ان تهيب له هذه الظروف ووسائلها ،
جيمس رسل لويل

رأينا كيف ان المكتبة الشعبية تخدم الناس اجمعين، وتحاول
بمظهرها ان تغريهم وتشوقهم للقراءة . وإثارة التشويق مبدأ
تربوي واهميته هنا انه لا يقتصر على التلاميذ وإنما يمتد إلى جميع
الأفراد كباراً وصغاراً وهم في أشد الحاجة الى المعين وسط
تيارات الحياة الاجتماعية ، إذ ان المكتبة تقوم على اتصال
الافراد بأفكار الجماعة وتطورها وتفكيرها وثقافتها عن طريق
الكتب والمطبوعات وغيرها ، كما أنها تهدف الى ان تكون
لديها مجموعة منظمة من المواد المنشورة في الصحف اليومية الى
جانب ما لديها من دوائر المعارف والمراجع . ومعنى ذلك انها
ترى ان تهيه من هذه المنشورات التي تتضاعف بسرعة عجيبة
مادة مختارة مضمومة . وعلى هذا النحو وعلى اعتبار ان هذا كله
هو رأى المجتمع وسجل حياته وتطوره يمكننا ان نقول إن الجريدة
اليومية ما هي إلا مكتبة اليوم الذي نعيش فيه . اما المكتبة
فهي صحيفة كل وقت .

ورأينا كيف ان المكتبة ليست وسيلة للتعليم فحسب ، وإنما
هي منهج متميز في هذا التعليم لمختلف الطبقات وخاصة أولئك
البالغين الذين يعتمدون على المكتبة في إتمام تعليمهم المهني او
الفني . والطابع الخاص بمنهج التعليم في المكتبة هو الحرية .
ومثل هذا التعليم هو خير ما يمكن ان يفيد المرء في حياته ويبرز
شخصيته . وفضلاً عن ذلك تعتبر هذه المؤسسات خير مكان
لمعرفة افكار المجتمع ومشاكله وتطوره وتكييف الفرد . فهي

في الواقع أبعد غوراً وأعمق أثراً في الحياة الاجتماعية مما نظن .
بحيث تعتبر المكتبات مؤسسات ضرورية كالمدارس والمستشفيات
فهي ليست ترفاً بل هي روح التعليم العام وبؤرة الرقي الفكري
والحضاري .

ولهذا السبب أمكن ان نقول مع « بسطويك » في ص ٢٠
من كتاب (المكتبة الشعبية الأمريكية) : إن تعريف المكتبة
الشعبية « هو انها المكتبة التي يملكها او يديرها الشعب او التي
تخدمه بلا مقابل من المال » ، ولذلك كان من الطبيعي ان تنفق
عليها الدولة او الهيئات المحلية من الضرائب التي تجبها من
الشعب ولما ذكره المؤلف السابق في كتابه (المكتبات والمجتمع
ص ٣٩٨) من ان « أثر الكتب على المجتمع إنما هو أثر بالغ حقا
إذ هو اعمق من صحة الانسان لصديقه الانسان . فالمكتبة تبعث
إحياء في اعماق المرء وتمس روح كيانه وعقله وشعوره وإرادته .
والكتب هي التي تخلق او تعدل معايير الاخلاق وتبنى قيم
الحياة والسلوك وتمسك بزمام مشاعرنا وتلون منظرنا الذي
نشرف به على الحياة » .

ومهما يكن الامر فان واجب رعاية الدولة والاموال العامة
للمكتبات الشعبية وما يماثلها يرجع الى انها :

- ١ - ضرورة للشعب ضرورة المدرسة نفسها
- ٢ - انها المؤثر التعليمي الفريد الذي يستطيع ان يمتد في
الحياة ويجعل المواطنين جميعا عملاء

٣ — انها الوسيلة الناجعة لتزجية وقت الفراغ على خير نحو
يمكن وجدير بالدولة أن تنفق على مؤسسة تؤدي هذا الدور
الخطير في الحياة الاجتماعية من الأموال العامة.

٤ — من الواجب أن تكون عامة لا خاصة حتى لا تتحكم
فيها الأهواء والنزعات الفردية .

وعلى ذلك تعتبر المكتبة منشأة اجتماعية عامة لاستكمال
التعليم العام . والمدرسة عاجزة عن تأدية مهمتها لجمهرة الناس
الذين هم بعيدون عنها . واذا صح التحايل على تكليف المدرسة
وظيفة المكتبة العامة كانت النتيجة فشلا ذريعا مترتبا عن عدم
إقبال الكبار على مدرسة الصغار وعدم فهم المدرسين لعقلية
الكبار الذين يختلفون عن هؤلاء الصغار كما اظهرت التجارب
ذلك في بعض المناطق التي لا توجد بها مكتبات عامة في امريكا.
وغنى عن البيان في هذا الموضوع ما سبق ذكره من ان جو
الحرية في المكتبة العامة جوهرى اصيل فيها ، وهو لا يتوفر في
المدرسة التي تتخذ والنظام والتقييد منهجا حتى في أرقى البلاد
التي تحاول تحرير المدرسة فبينما يجد المدرسة محدودة البرنامج
يجد المكتبة ابعدها لانها تخدم مختلف الطوائف ومتباين
العقليات . فقد باتت تخدم كل مهنة وصناعة وتحاول تلبية حاجات
مختلف الميول والطبائع من عميان الى صناع الى علماء الى شعراء
الى نساء الى اطفال ، فهي الجامعة العامة التي لا تعرف برنامجا
محدوداً وانما تعرف منهجا في التعليم آتية . التحرر من البرنامج

المرسوم ، كما انها تضع سياستها تبعاً لحاجات البيئات والاطوساط
التي تعيش فيها ، والتاريخ والثقافة ولون النشاط الذي يسيطر
على حياة المواطنين بحيث تكون وسيلة ضرورية للتقدم
الاجتماعى .

وعلى نحو آخر نقول إن المكتبة التي توفر هذا الهيج الفريد
من التعليم الذي يسمونه تعليم البالغين ضمن ما توفر من المزايا
الاجتماعية الجديرة بكل عناية ورعاية من الدولة . وتعليم البالغين
كما قلت آنفا يرمى الى تنمية الملكات وغالباً ما تكون للحنق
المهنى لرفع مستوى المعيشة بزيادة الأجر، وذلك عن طريق الكتب
وبراج القراءة والمطالعات والمحاضرات والمناقشات التي تكون
الرغبة الشخصية في المتعلم وحدها هي الحافز دون ان يحدها المعلم
بتعاليم وتوجيهات مقيدة . ومثل هذه الدراسة الحرة الاختيارية
ضرورية حتى لقد أذاع اتحاد المكتبات البريطانى سنة ١٩١٧ فى
لائحته ان الغرض التعليمى للمكتبة يتلخص فى « تعليم الأشخاص
لأنفسهم فى جو يسوده التحرر وعدم التقييد » . ومعنى ذلك
يتلخص فى هذه المعانى التي أكدناها لأهميتها والتي لا تخرج
عن ان هذا التعليم يعتمد على الفرد ورغبته وهدفه وقدرته .

ونجد فى مصر كثيراً من الكتاب والمفكرين ممن فطنوا
الى هذه الامية بين البالغين بل وبين المتعلمين أنفسهم وارجعوا
ذلك الى فساد التعليم والتربية . وأود ان أشير الى ان أهمية
المتعلمين المنقفين ومحاولة ترقية مستواهم عن طريق القراءة

والاطلاع ليست هي ما يطلق عليه اصطلاح تعليم البالغين ،
لأن مثل هذا النوع من التعليم لا يتقف عن مجرد شغل وقت
الفراغ ورفع النفس عن الصغار بالقراءة ومصاحبة الكتاب ،
بل هو تنظيم من جانب المكتبة لأنواع من دراسات الموضوعات
العلمية والفنية وغيرها . ولايجاد كتب منطقية التدرج من السهل الى
المعقد في هذه الموضوعات وتنظيم برامج ينظم في سلكها من
يريد ان يواظب ويستمر كما يشارك في البرامج التعليمية الأخرى
من محاضرات ومناقشات فيستفيد كل منهم من خبرة المكتبة
في الاستعلام والاسترشاد عن كل ما من شأنه ان يرفع مستواه
في مهنته أو فنه أو هوايته ، وذلك كله تحت اشراف مشرف
القراءة أو مرشدها . ومعنى ذلك ان تعليم البالغين غير مجرد
رفع النفس وشغل وقت الفراغ بالقراءة ولو ان ذلك من
الوظائف الهامة للمكتبة العامة ولكنها وظيفة أخرى غير تعليم
البالغين . ونحن في أشد الحاجة الى تحقيق هذه الاهداف وغيرها
في مكتباتنا ، فما لا شك فيه اننا من أكثر البلاد احتضانا
للمقاهى التى تضم بدورها ملايين من الناس فى المدن والقرى
يضيعون وقتهم سدى وتنطع منكر وعيث ينتهى بالشر والجهل .
ومن الواجب أن نهدى هؤلاء السبيل الى المكتبات الحديثة
اذا ما أنشأنا عدداً صالحاً منها على أساس سليم وكانت هذه
المكتبات وثيقة الصلات بالبيئة ومشاكلها .
وهكذا عني الغرب بانشاء المكتبات سواء كانت هذه العناية

من جانب الافراد أو الهيئات العامة أو الحكومات . ولم تك هذه العناية عبثا ولا سخرافا لان المكتبات التي نغنيها ليست خزائن للكتب وانما هي مراكز للنشاط الاجتماعي يقصدها الافراد في كل وقت لتزجية الفراغ أو الاستعلام أو القراءة والاطلاع أو الافادة من برامج تعليم البالغين أو غير ذلك مما هو واضح فيما سبقته الإشارة اليه. وقد استعدت هذه المكتبات بنظمها وترتيبها وفهارسها وبنائها وبالعاملين عليها خيرا الاستعداد لتجذب أكبر عدد من الناس الذين يفيدون منها إفادة جدية وتقدير نجاحها بمدى ذبوع شأنها وكثرة اصدقائها.

وتتضمن هذه الوظائف كون المكتبة حافظة للتراث الاجتماعي والثقافي بما فيه من آداب وعلوم وفنون ليكون ذخرا للأجيال وسجلا للتاريخ في تطوره وللحياة في تغيرها . وهي في نفس الوقت تجعل هذا التراث متاحا لجميع أبناء المجتمع الحاضر . وما يدخل في وظائف المكتبة، باعتبارها منشأة اجتماعية، انها تعمل جاهدة على اشاعة عناصر ثقافية وفكرية وروحية موحدة وإيجاد التجانس بين افراد المجتمع الواحد سواء في عملها العادي أو في برامج المحاضرات والمعارض والمناقشات وبكونها ممتدى للجماعات الثقافية والاجتماعية والدعوة إلى الافكار السليمة ومناقشتها تحت اشراف أخصائيين سواء أكانت هذه الافكار سياسية أم فنية أم اقتصادية أم أدبية أم مجرد المعرفة والاطلاع . وعملها على إيجاد التجانس بين أبناء المجتمع الواحد لا يقتصر

عند هذا بل بعملها العادى واختيارها كتباً معنية واتجاهها اتجاها اجتماعياً معتدلاً فى سياستها . إلى جانب عملها على نشر المعلومات الصحيحة بالاجابة عن كل استعلام فى أقسام المراجع ، وهى أقسام موجودة فى كل مكتبة يصح أن تسمى مكتبة حديثة مهما صغر حجمها وقل شأنها . كما انه من المعلوم انها تهيء للاطفال والصبيان مكاناً فى مجالها ، كما تهيء كل وسائل العون لارشاد الباحث والعالم وإذاعة المعرفة .

لهذا كله اعتبرت مؤسسات اجتماعية أصيلة لها ضرورتها وأهميتها بحيث لا يستغنى عنها المجتمع المتحضر بأى حال من الأحوال . ولما كانت وظائفها حقاً عاماً متضمنة فى برامج التعليم العام والاصلاح الاجتماعى فقد احتضنتها الحكومات فى الغرب وبذلت لها المال والعون واعتبرت حق المواطن فى الخدمات المكتبية لا يقل عن حقه فى التعلم بالمدرسة .

أليست المكتبة هى إذن جامعة الشعب ؟

أليست هى مدرسة حرة أو مدرسة الحياة ؟

سألتني إلى صميم الرف

« بعد المدرسة وإنشاء المعبد لله فليس ثمة ما هو
أكثر خيراً لبلادنا من المكتبة ،
تيودور روزفلت

يحسن أن نلم بأنواع المكتبات التي تمولها الاموال العامة حتى نستطيع على ضوءها أن نحدد ما يجب على مكتباتنا المائلة القيام به سواء أكانت هذه المكتبات المراكز المكتبية الكبرى أم المكتبات الصغيرة في صميم الريف وهما غير المكتبة الشعبية في المدينة أو البلدة وهي التي تحدثنا عنها حتى الآن .

وأما المكتبات الكبرى هي مكتبة الدولة ومكتبات الولايات وهي المكتبات الرئيسية التي تحفظ التراث القومي أو الإقليمي وتكون بمثابة مراكز عامة للباحثين فتعنى بهم على نطاق واسع بحيث تلي كل ما من شأنه أن يسهل البحث من مراجع وكتب في أنحاء البلاد ، والتي من شأنها أن تكون كذلك مرشداً ومعيناً للباحثين فحسب بل لسائر المكتبات الشعبية والخاصة ، فليسنا هنا بصدد مكتبات صغيرة شعبية على النحو الذي سبق ذكره في مكتبات البلاد والمدن وإنما نحن إزاء مكتبات أضخم وأوسع نطاقاً بحيث يحملها ذلك في مستوى قومي في البلاد التي توجد فيها فلا تمقيد بالبلد الذي توجد فيه وإنما تمتد إلى إقليمها أو قطرها حسب التقسيم السياسي لأن الحكومة الحاكمة هي التي تسيطر عليها وترسم سياستها الثقافية وخدماتها العلمية وهي التي تمدّها بالمال وتختار موظفيها حسب اللوائح المتبعة وتبعاً للأهداف المرسومة وتحقيقاً للخير الذي تنشده الدولة أو الحكومة من الخدمات المكتبية والذي يعود على الوطن وينهض بالبحث والتقدم العلمي في بلادها وفي البلاد الأخرى

في كثير من الأحيان .

ومن مكتبات الدولة مكتبة الكونغرس بمدينة واشنطن
عاصمة الولايات المتحدة ومكتبة المتحف البريطاني بلندن ومكتبة
الدولة بباريس ومختلف مكتبات الدولة في عواصم العالم المتحضر .
ونجد في كل من مكتبة الكونغرس والمتحف البريطاني مثلاً
مكتبا لتسجيل حقوق التأليف ملحقاً بها ووظيفته تسجيل حقوق
التأليف والنشر بشرط ان تودع نسخة او نسختين من كل كتاب .
وبذلك تحفظ الدولة لنفسها سجلاً كاملاً بكل ما أخرج من
الكتب ويتم للمؤلف والناشر على هذا النحو تسجيل حقوقها .
وقد قدم كاتب هذا تقريراً إلى دار الكتب المصرية في مارس
سنة ١٩٤٨ كان من ضمن ما احتواه ، لرفع مستوى خدماتها ، ان
تعمل الدار على استصدار قانون يبيح لها الحصول على نسخة من
كل كتاب يصدر في مصر على نحو ما تحصل عليه المكتبات
الأخرى في الخارج وذلك لتكون مركزاً لمراجع البحث
وسجلاً لما ينشر ويطبع ويصدر في أنحاء البلاد ، كما تمهد بذلك
لتسجيل حقوق التأليف والنشر .

ويمكن عن طريق مثل هذه الخدمات تنظيم تبادل المطبوعات
مع الدول الأجنبية ومكتباتها ومعاهدها ومدها بالفهارس التي
تحتاجها مما ينشر او يطبع في وطنها .

وفي بريطانيا نجد المشروع القومي لتنظيم استعارة الكتب
في أنحاء بريطانيا ومركزه مكتبة المتحف البريطاني . وهو مشروع

يتيح لأى قارىء فى أية جهة ان يطلب الكتاب الذى يريد استعارته من مكتبة الولاية او المقاطعة عن طريق مكتبة البلدة أو المدينة أو الهيئة إذا لم يوجد بها ، فإذا لم يوجد بها هى الأخرى طلبته من المكتبة الرئيسية بلندن. ويترتب على هذا النظام جعل الثروة الضخمة للمكتبات الرئيسية فى خدمة الباحث والمطلع فى أية جهة فى بريطانيا ولو كانت بلدة نائية أو قرية خاملة .

وغنى عن البيان ان فهرس محتويات مثل هذه المكتبات الرئيسية بالغة الفائدة فى الارشاد إلى معرفة ما تحتويه كل مكتبة حتى يكون الطلب منها على أساس صحيح . ومن الفهارس الكاملة الحديثة لمكتبات الدولة فهرست وفهرست مكتبة الكونجرس وفهرست المكتبة الأهلية بباريس . واما فهرست المتحف البريطانى فلم تفته طبيعته الحديثة الشاملة بعد .

وإذا لزم الباحث الاهتداء إلى مراجع تبحث موضوعا معينا فلا شك ان هذه المكتبات الرئيسية تستطيع افادته فتعد القوائم اللازمة لكل بحث . ومثل هذه الخدمات موجودة بمكتبة الكونجرس الأمريكية التى تتقاضى عنها نفقات زهيدة لاعتبارها إياها خدمات خاصة تستلزم جهداً أكبر وعملاً أشق من عمل المكتبة الشعبية ، كما ان مثل هذه المكتبات بما لديها من ثروة علمية من المعارف ، تستطيع ان ترسل صفحات مصورة من مقالات الصحف او المجلات او الكتب لمن يطلب هذه الصور ، وتتقاضى المكتبة على ذلك نفقات زهيدة ايضا . وهذه الخدمات

موجودة في مكتبة الكونجرس كذلك .

وبعض مكتبات الدولة وخاصة الكونجرس ، تطبع بطاقات لكل كتاب جديد وهذه البطاقات تشتمل على كافة البيانات المطلوبة عن كل كتاب تظهر منها المحتويات التي يتضمنها علاوة على المعلومات العادية مثل اسم الكتاب واسم مؤلفه وناسره ومكان النشر وعدد الصفحات واللوحات وطول الكتاب ورقم التبريد ان كان عدديا واسم الموضوع ان كان يتبع نظاما خاصا من الأنظمة المعروفة لرؤوس الموضوعات الخ . ويمكن لأية مكتبة ان تطلب هذه البطاقات لتستعين بها في إعداد فهرسها على أتم وجه وأحدثه فستطيع المكتبة الصغيرة ان تستعين بخبرة مكتبة الكونجرس في فهرسة هذه الكتب وتبريدها كما تستطيع ان تضيف إلى هذه البطاقات ما يلائمها من ارقام التبريد الذي تستخدمه . وبهذا توفر المكتبة الصغيرة على نفسها جهوداً وتسهل للباحث في فهرسها مهمته بإيجاد بطاقات مطبوعة مشتملة على كافة المعلومات وتعتبر هذه العمليات ذات تكاليف لاها تحتاج إلى إخصائي يبذل فيها الجهد حتى تؤدي على الوجه الأكمل .

وقد اقترحت على دار الكتب إيجاد مثل هذا النظام وتعميمه لإيجاد فهرس مستوفاة الشروط وسهولة الاستخدام في يد القارئ في أية مكتبة إقليمية صغيرة . وذلك الاقتراح تضمنه التقرير الذي سبقته إليه .

وتوفر مكتبة الكونجرس خدمات خاصة للعميان وتسجيلات صوتية للأعمال الأدبية الكبرى وغير هذه الخدمات .

وهناك مكاتب الولايات او المقاطعات او الاقاليم وتعتبر مكاتب مركزية بالنسبة لمكاتب الولاية او الاقليم . وتعتبر كذلك بمثابة مكتبة الدولة من مكاتب الولاية وتقوم بالخدمات المركزية ، ولكن هذه المكاتب — نظراً لكونها تابعة للهيئات الاقليمية وتستمد أموالها من الضرائب الاقليمية — تتجاوز الحدود السابقة المناطة بمكاتب الدولة في انها تشرف على تنظيم مكاتب الاقليم وتنظمها ومن ذلك انها تؤدي خدمات مباشرة في اقليمها . فهي تشجع بالمال والخبرة على تحسين حالة مكاتب الاقليم والعمل على انشاء مكاتب جديدة وذلك عن طريق حفز الأهالي وترغيبهم في الاستعداد بالمال والجهود لانشائها .

وهي تقترح القوانين والتشريعات التي تسترشد بها الحكومات الاقليمية في سياستها إزاء المكاتب الصغيرة .

وتنظم توزيع الاعانات على مكاتب الاقليم .

كما تنظم معاهد ودراسات لتخريج من يعملون في المكاتب بحيث يكونون في مستوى لائق من الثقافة والمران .

وتعمل على تنظيم علاقات المكاتب بالمدارس ومكباتها والأندية ومختلف المؤسسات .

هذا كله علاوة على امداد المكاتب الصغيرة بقوائم عن الكتب المختارة في كل موسم وتنظيم العلاقات بين المكاتب

المختلفة بحيث يسهل تبادل الاستعارة فيما بين هذه المكتبات بعضها ببعض وفيما بينها وبين مكتبة الاقليم .

ومن واجبات مثل هذه المكتبات الرئيسية في الاقليم تشجيع القراءة والمكتبات الجواله أو السيارة في الريف . والملاحظ على مثل هذه المكتبات الاقليمية في الغرب انها تحتفظ بالمراجع التي تعتبر سجلا لقوانين الولاية وتاريخها وتقاليدها بحيث تفوق مكتبة الدولة في هذه الموضوعات بالذات ولذا كان نظام تبادل الاستعارة القومى من الأهمية بمكان حتى يستطيع الباحث استعارة أى كتاب فى أية جهة كانت .

ومن الواجبات الهامة كذلك الاحتفاظ بفهرست مفصل عن ثروة كل مكتبة فى الاقليم ترسل منه نسخاً إلى كل مكتبة فيه لتسهيل معرفة هذه الثروة .

وتعتبر مثل هذه المكتبات مراكز للخدمات المكتبية والاشراف عليها بحيث يوجد فى ادارة التعليم والمدارس بكل ولاية قسم خاص للاشراف على مثل هذه الخدمات وكثيراً ما يكون مقره مكتبة الولاية نفسها .

أما مكتبة البلدة أو المدنية الخاصة فهى تلك التى انشأتها بنفسها والتي يتمثل فيها ما سبق شرحه فى فصل سابق وبدء هذا الفصل من نظامها وروحها بقيامها بالنشاط المباشر لخدمة الجماعة تحت اشراف المكتبات المركزية وفروعها .

بقيت كلمة يجب أن يقال عن المكتبات التى ينفق عليها

من الأموال العامة في مصر على أساس انه من الممكن توحيد وظائف مكاتب الدولة والمكاتب الإقليمية .

وتعتبر دار الكتب المركز المكتبي الرئيسي الذي هو بمثابة مكتبة الدولة . والواجب ان تعطى السلطة التي تمكنها من ان ترتفع إلى مستوى مكاتب الدولة في الغرب ، وأن تعطى الفرص لرسم سياستها وتنفيذها في ضوء ما تجده لدى مكاتب الدولة في الغرب . وبدون تفاصيل اقترحات نريد ان تتمكن هذه الهيئة من القيام بما تستطيعه مكاتب الغرب من خدمة وطنها على خير وجه وعلى النحو الذي اجملته في إيجاز .

فمثلا نريد ان تنظم قسماتها للاشراف على خدمات المكاتب الإقليمية وتنظيمها ورفع مستواها ، وتكون واجبات مثل هذا القسم الدعوة للتعريف بقيمة المكاتب وتشجيع الأهلين على انشائها بما لهم ، وبما لا شك فيه اننا ننشد إيجاد قسم آخر لتنظيم علاقة المكاتب بالمدارس والجامعات سواء أكان ذلك في الدار نفسها أم في فروعها التي نرجو أن تطرد في نموها وزيادة عددها في القريب العاجل على أساس سليم . وما قلته بصدد المعاهد العلمية أقول عن خدمات الأطفال وغيرها بما ذكر في هذه هذه الفصول .

وتنظيم العلاقات في التبادل أو في عمل فهارس لمحتويات المكتبة نفسها والمكاتب المختلفة في الجامعات والمصالح الفنية والشركات والجمعيات العلمية وغيرها من الأمور التي لا يحتاج

ذكرها إلى بيان وقد أخذت تتجه إلى هذه الغايات بالفعل .
هذا من ناحية المكتبات في المدن والاقليم إلى جانب
مكتبات المدن والبلدان . أما القرى الصغيرة فأظن أن مشروعات
وزارة الشؤون الاجتماعية التي تقوم بتحقيقها مصلحة الفلاح
والتمان من إيجاد مراكز اجتماعية في أنحاء القرى كفيلة
بتحقيق الخدمات المكتبية في صميم الريف سواء أكان ذلك
في غرفة للمكتبة ملحقة بالمركز الاجتماعي نفسه أم بتوفير
المكتبات السيارة التي تطوف في قلب الريف السائي عن العمران
والحضارة لتؤدي رسالتها .

والمكتبة التي تلحق بالمراكز الاجتماعية بسيطة تتلاءم مع
عقلية البيئة وحالتها وخصائصها الاجتماعية والاقتصادية فهي
مثلا تحتوي على عدد من الصحف التي قد يطالعها لهم المشرف
على المكتبة في أوقات معينة ليعرض عليهم المشاكل التي تمسهم
وعدد من المجلات المصورة والكتب المصورة كذلك والأفلام
السينمائية عن الموضوعات الحيوية التي تفتح أمامهم مجال التفكير
في تحسين مستواهم أو حالتهم الصحية ، بل والتي تعطيهم حلولاً
عملية لزراعة محصول مربح أو تصور لهم ألواناً من الصناعات
الريفية الخ .

والمكتبة في مثل هذه المناطق تحتاج إلى خبرة خاصة بكيفية
التعامل والتفاهم مع الريفيين وفهم بيئتهم وميولهم ونزعاتهم
الاجتماعية ، كما تحتاج إلى خبرة بفنون تعليم الاعميين وتعليم

البالغين إلى جانب فهم عمل المكتبة ووسائل حفز أهل الريف وتشويقهم للاستطلاع والتعلم والقراءة بمختلف الطرق ، وتشكيل جماعات منهم للمساهمة في ألوان النشاط الأخرى على نحو ما ذكر في سياسة المكتبة وتعليم البالغين .

ومما يتصل بهذا الموضوع المكتبات السيارة أو الجواله ، وهي السيارات التي تحمل الأفلام السينمائية والتسجيلات الصوتية ومجموعات الصور والمجلات والكتب الملائمة وتنقل بها من مكان إلى آخر . وقد تحققت هذه المشروعات في ولاية لم تكن مختلف حالة سكانها الاجتماعية والاقتصادية عن حالة سكان القرى في مصر . فقد كانت الأمية والمرض والفقر مستفحلة . ومع ذلك نظم برنامج في ولاية نيومكسكو في الجنوب الغربي للولايات المتحدة . . وكانت إحدى السيدات الثريات قد تبرعت بمبلغ ضخم للبدء في مشروعات الإصلاح التي تولتها جامعة نيومكسكو ، وكانت وظيفة السيارات أن تدعو بواسطة الأفلام والصور لمشروعات الإصلاح ومحو الأمية وما إليها . وكانت بداية رائعة انتهت بنهاية غاية في التوفيق والنجاح ففي شهور حimit الأمية ! وليست هذه مبالغه بل هو ما حدث فعلا وما سجله التاريخ . وما أظن أن هذا التاريخ يبعيد لان المشروع اتفق عليه قبل الحرب العالمية الأخيرة مباشرة ونفذ ونجح أثناء الحرب .

وقد سقت هذا كله مقدمة لسؤال كثيراً ما يحول في الخاطر

إذا ما ذكرت مشروعات عن المكتبات في الريف وهو :
كيف يمكن أن نقيم مكتبات لأميين ؟

وعندى أن المكتبة السيارة لم تكن مكتبة بالمعنى الصحيح
في ولاية «نيومكسكو» ، بل كانت تستخدم الوسائل السمعية
والبصرية audio visual aids أى التسجيلات الموسيقية
والافلام والصور وغيرها وقد استطاعت ان تجمع العدد الغفير
من الاميين الريفين وفي هذه الاثناء وخلال هذه
المشاهدة كانوا في حالة تفتح نفسى تسمح لهم بأن يتلقوا
الارشادات والنصائح المفيدة الداعية للإصلاح والتي توحى
اليهم بالتعاون ضد الأمراض الاجتماعية التي تفتك بهم ومنها
الامية والجهل .

وهكذا نجد مشروعات المكتبة كانت الصوت السحري
الذى كان يدعو للإصلاح في نيومكسكو ويحد آذانا صاغية .
أما أهمية المكتبة في الريف فلا تقل أهمية عن محو الأمية
نفسه ، إذ أن استطاعة المرء أن يتعلم كيف يقرأ ويكتب مرحلة
من مراحل محو الأمية وليست هى كل شئ لأن الريفى سوف
ينساها بل المشاهد الملحوظ انه ينساها بالفعل فلا بد من مواصلة
الاتصال بمركز للقراءة يغريه على ان يطلع على الدوام . وهذا
لا يتحقق إلا بوجود المكتبة ، التى يجب أن تكون متصلة
بمراكز الخدمات الأخرى المتصلة بمصالح الريفى المباشرة
عما يضطره الى التردد على مركزها . ولذا وجب أن توجد

المكتبة الريفية إلى جانب سائر أقسام المراکز الاجتماعية من خدمات طبية إلى زراعية إلى ارشاد اجتماعي وتعاوني الخ . ويجب أن تنظم لمثل هذه المكتبات إدارة فنية رئيسية تكفل لها النجاح والثبات .

إن أهمية المكتبة في القرى الامية تتلخص في أنها
١ - تساعد على تعليم الاميين كما تساعد على تذكيرهم الدائم بما تعلموه .

٢ - تكون مركزاً للدعاية للاصلاح الاجتماعي .
٣ - إذا شعر الريفيون بأن المكتبة تستطيع أن ترشدهم في مشاكلهم الحيوية والاقتصادية فانهم ولا شك يقبلون عليها ويرغبون في ازيادها فتكون مركزاً لنشاطهم الاجتماعي .

٤ - ولهذا فلا بد أن تكون متصلة بنشاط الاصلاح الاجتماعي والارشاد الزراعي والتعاوني والصحي والتعليمي لتصبح مركزاً لعرض ألوان هذا النشاط المتباين .

٥ - إحياء التراث الريفي التاريخي للجهة والتنبيه إلى أهميته وإحياء التقاليد الصالحة واطهار مميزات المجتمع المباشر والاقليم الذي تتبعه .

المكتبة ودعائم الهند

« القدرة على اعتماد المرء على نفسه تتمثل في القراءة التي تهبط المدرسة للطالب وهي على يقين من أنها هبة باقية ما بقي فيه نفس يتردد »
كارتر الكسندر

« تتبوأ المكتبة الحديثة في المدرسة مكان القيادة لتأدية خدمات وظيفية لتحقيق فلسفة التعليم فهي الحق أنها أداة حيوية للطالبة والمعلمين ولسنا في حاجة إلى التأكيد بأن المكتبة هي المركز الفعال لنشاط المدرسة »
إنجليش

إن مكتبات الدولة هي أضخم المكتبات وأغناها، ولكنها بالرغم من ذلك أحدث عهداً من مكتبات الجامعات لأن الأخيرة كانت دينية النشأة فكانت مراکز المعرفة وأداتها. وهكذا نجد أن أقدم المكتبات هي تلك التي تنتسب إلى الجامعات القديمة. فأقدم مكتبة في ألمانيا هي مكتبة جامعة هيدلبرج التي أنشئت سنة ١٣٤٦. وفي إنجلترا جامعة كمبرج التي أسست سنة ١٤٢٥ في حين يرجع تاريخ مكتبة المتحف البريطاني إلى القرن الثامن عشر. وفي السويد نجد أن أقدم مكتبة هي مكتبة جامعة « إيسلا »، إذ أنشئت سنة ١٤٧٧. وكان الحكام والملوك وأصحاب الجاه والنفوذ يشملون هذه المكتبات بعطفهم فاستم انشاؤها إلا على هذا النحو.

وإذا كنا نريد أن نعرف، في لمحات، علاقة المكتبة بالتعليم وفلسفته الحديثة فيجب أن نذكر المدرسة وارتباط المكتبة بها. وتاريخ هذا الارتباط يرجع إلى بداية هذا القرن، أو قل إنه يرجع إلى العقد الأخير من القرن التاسع عشر على وجه الدقة وقد عنت الحكومات وهيئات الإشراف على التعليم بتنظيمها كأداة فعالة لتحقيق فلسفة التعليم الحديث.

والتعليم الحديث غير التعليم القديم الذي كانت غايته التحفيظ والتقييد بمادة ومواضيع معينة إذا ما استوعبها الطالب نال إجازته وأصبح من المتعلمين. وأما التعليم اليوم في بلاد الديمقراطية الغربية فينتجه إلى إعداد الفرد لتحقيق غاية اجتماعية

بحيث يستطيع أن يكون مواطناً منسجماً مع الجماعة قادراً على أن يخدم نفسه ويخدم تلك الجماعة ، وذلك لا يتأتى إلا بأن يكون هذا الفرد قوياً جثمانياً وعقلياً ونفسياً بحيث يستطيع أن يتحمل تبعات الحياة ، وأن تكون له مهنة أو عمل يتفق وطبيعته وميوله واتجاهاته وينتهي به هذا الوضع إلى أن يصبح قادراً على نفع نفسه ونفع المجتمع الذي يعيش فيه ، وأن يكون جديراً من الناحية الأخلاقية والاجتماعية بتحمل تبعات الأسرة وإسعادها وأن يكون مواطناً صالحاً .

وهكذا أخذ يتطور التعليم إلى مذهب التكامل بمعنى أن مواد الدراسة المتفرقة ما هي إلا محاولة لجمع المؤثرات المتبادلة بين قدرة الإنسان الجسمية والاقتصادية والاجتماعية وبين العالم الخارجى والمجتمع الذى ينتمى إليه . والغاية من مثل هذا المذهب إيجاد منهج تربوى كفيل بأعداد فرد متكامل له باستقلاله وشخصيته وقدرته .

ويقول « سيد » فى مقال نشر فى « نشرة اتحاد مكاتبات الجامعات الأمريكية » ، الجزء الخامس والعشرين ص ٤٠٠ « يلخص الغرض من التعليم الجامعى فى أنه عقلى فلسفى روحى معاً غايته إعداد الشخصية الفردية والاجتماعية وتربيتها للمهنة والحياة الاجتماعية . فالجامعة تبين الوسيلة لتحقيق الذات عن طريق المساهمة فى الحياة الاجتماعية ولتقريب الغايات الديموقراطية بالمران على الحياة وتركيز الايمان بها . أو بمعنى آخر يقال إن

هذا الغرض هو إشباع الميول ورفع التفكير وتنمية الحساسية في الشخص حتى تمتد إلى المجتمع ليندج الانسان على هذا النحو في حياة الناس وفي الطبيعة ذاتها، ومعنى ذلك هو أننا لا نستطيع إلا أن نساير طبائع الأشياء في تبادل المسؤوليات الانسانية وأن نهى الوسائل العقلية والمثل الخلقى كما تصبح الحياة الاجتماعية اسرع خطى في اتجاهات صالحة ، واتصبح جميع المعاهد قادرة على المساهمة على نحو اكثر يقينا في الحياة الصالحة لكل فرد .
واذا كان لنا أن نختصر القول في جملة واحدة فاننا نؤكد أن الغرض من الجامعة هو مساعدة العقل والروح في عزم ورغبة لكي تلتج في حرية وخصوبة .

وهكذا اتجه التعليم الحديث في نظرياته وفي بعض التجارب التي أجريت عن هذه الفلسفة في بعض المدارس الملمحة بكليات المعلمين مثل مدرسة « لنكلن هوراس مان » التابعة لكلية المعلمين بجامعة كولومبيا إلى عدم تحديد برنامج أو فرض مواضيع معينة لتدرس وإنما تتكيف البرامج حسب تطور المجتمع وحسب المشاكل التي تواجهها فالبيئة المباشرة هي أساس توجيه التعليم ، ومن ثم كان اتصال المدرسة بالمجتمع أوثق مما نعهده عندنا .
فالمدرسة تدعو الآباء والأمهات والقائمين على الخدمات العامة في المجتمع لدراسة ما يواجهه من المشاكل وما يشغل بال الأفراد من مسائل العيش والحياة وعلى هذا الضوء تكون الخطوة الأولى في توجيه التعليم .

كما أن التعليم الحديث يحاول أن يجعل الطالب مسؤولاً واعياً لمشاكل الحياة ، وأن يتحمل هذه المسؤولية حراً مختاراً في حدود وعيه للمشاكل الجارية والمثل العليا الاجتماعية. ولذلك يتجه التعليم إلى تحميل الطالب مسؤوليات في المدرسة تشابه تلك التي يواجهها في الحياة في مجتمع ديمقراطي وذلك بوسائل مختلفة منها مجلس الطلبة المنتخب بواسطتهم لحل الكثير مما تعرض له المدرسة من مشاكل ، ويكون أعضاء هيئة التدريس أفراداً في هذا المجلس تحت رئاسة الطالب المنتخب كما يكون تعويد الحرية والمسؤولية وغيرها من الفضائل الديمقراطية عن طرق أخرى في الحياة المدرسية .

وإذن فنحن أمام حقائق ثلاث تلخص لنا سياسة التعليم الحديث وروحه وفلسفته .

أولاً: ليس هناك برنامج مرسوم وإنما هناك مسائل واحوال مختلفة وعليه فلا تتفق مع مثل هذه السياسة الكتب المقررة في كل مادة من مواد الدراسة وإنما هناك الصحف السيارة ومقالاتها الحية التي تعالج مشاكل اليوم ، وهناك المقالات المختلفة في مختلف المجالات ، والفصول المتنوعة في مختلف الكتب .
ثانياً : التكييف بالحياة الاجتماعية الموجودة ومشاكلها ومواجهة هذه المشاكل كما هي في الحياة متفرقة معقدة لا موحدة مبسطة كما هي في الكتاب الواحد المقرر .

ثالثاً : تعويد المسؤولية وحمل تبعاتها في نفس الوقت الذي

يشعر فيه الطالب بالحرية . وإذن فإن الطالب يجب أن يبحث بنفسه وأن يتعود هذا الاعتماد على النفس في الرجوع إلى مصادر البحث وأن يختار هو الموضوع الذي يبحثه وأن يسأل عن مصادره إذا أراد عوناً ونشده معرفة بمراجع أكثر مما يعرف ، وأكثر من هذا أنه يتعود ارتياد المكتبة دائماً ، ويتعود استخدام كتب المراجع والفهارس ، وهذه عادة من أهم ما يمكن أن يكتسبه من المدرسة . فالعاقِل كما يقول « ماك كولفين » أحد أعلام المكتبات في بريطانيا « ليس هو بالضرورة من يعلم وإنما العاقِل حقاً هو من يعرف أين يجد المعرفة » ،

وبناء عليه فإن المكتبة المدرسية أو المكتبة في الكلية ليست هي المخزن القديم المعروف لمجموعة الكتب وإتمامها . مؤسسة وثيقة الصلة بروح التعليم الحديث الذي يتجه إلى مجابهة الحياة بمشاكلها دون التقييد بموضوعات ميتة ، والذي يرمى إلى أن يتحمل المتعلم مسؤولياته فيعود الاعتماد على نفسه في البحث والدراسة واختيار ما يلائمه . وهكذا تستعد المكتبة استعداداً خاصاً بحيث تكون مركزاً لهذه التهيئة الحية بنشاطها الحافل .

وهكذا نجد المكتبة في مركز النشاط المدرسي بينائها وبابها الواسع المفتوح ومعارض الكتب المنسقة التي تتغير تبعاً لتجديد النشاط المدرسي ، ومجموعات الكتب التي ترسلها إلى الطلبة في معاملهم وأمكنة دراستهم وهي كذلك مكان المعارض والإعلان

عن نشاط المدرسة كما انها تستعد بمجموعات من كتب المراجع والفهارس عن المجلات والكتب والموضوعات علاوة على مجموعات الصور وفهارس قصاصات الجرائد والأطالس والأفلام والتسجيلات الصوتية والصور المتعلقة علاوة الى جانب الكتب والمجلات.

« ليست المكتبة اليوم هي خزانة الكتب المنعزلة التي كانت في الماضي حينما اعتبر القائم بها خازنا كل وظيفته توفير الهدوء في المكان الذي توجد فيه مجموعة الكتب بأى ثمن ، وتقدر جهوده بعدد الكتب المستعارة ، وإنما تقبوا المكتبة الحديثة هي مكانة القيادة لتأدية خدمات وظيفية لتحقيق فلسفة للتعليم . ففي الحق انها حيوية للطلبة والمعلمين . فلسنا في حاجة إلى التأكيد بأن المكتبة هي المركز الفعال لنشاط المدرسة » (١)

« تعتبر الكتب وسيلة لتوسيع التجارب ووسائل لرقى التفكير أكثر مما هي مصادر للتحويل . والمكتبة تعد وحدة وظيفية في المدرسة والمجتمع أكثر مما هي مكان به مجموعة كتب فأدواتها التي تعتبر وسيلة للتعليم ليست هي الكتب والمجلات فحسب ، بل هناك وسائل جديدة لهذا التعليم مثل النشرات والخرائط ونماذج السكرات الأرضية والصور والفانوس السجري

والأفلام السينمائية والتسجيلات الصوتية. واخصائى المكتبة الذى كان يعتبر منظما لها ومكلفا أولا وبالذات بإدارتها من حيث المحافظة على ثروتها أصبح يعتبر عضواً فى هيئة التدريس مشرفاً على ميول التلاميذ وسياسة المديرين، وأصبح معداً بمران وخبرة تكفلان له المشاركة الفعالة فى رسم سياسة التعليم وتنفيذها فيما يتعلق بالمدرسة والبيئة التى يعمل فيها» (١)

و ليس اخصائى المكتبة موظفاً إدارياً مجرداً عن التفكير المستقل فى عمل المعهد الذى يعمل فى مكتبته ، ولكنه شخص درس ومارس هذا الفن وأصبحت له واجباته المتميزة فى ميدان التعليم وأنيطت به مسؤوليات اجتماعية خطيرة» (٢)
وقد فصلت واجبات مكتبة المدرسة فى نشرة وزارة المعارف الأمريكية عن مكتبة المدرسة الثانوية وهذه الواجبات تتلخص فيما يلي :

- ١ - اخصاب المواد المدروسة بمعنى عدم الاقتصاد عليها وإنما امداد الطالب بمراجع أخرى.
- ٢ - خير وسيلة لتزجية وقت فراغ الطالب .
- ٣ - تمرين الطلبة والتلاميذ على استخدام الكتب والمطبوعات والبحث فى الفهارس والمراجع.

1 - Lyle: The Administion of College Library. p. 194

2 - Wriston; College Librarian, A. L. A. Bul. 29 : 178

- ٤ - الاعانة في تسهيل برامج الارشاد التعليمي .
 - ٥ - تكون المكتبة عادة مركزاً للنشاط المدرسي .
 - ٦ - تمرين الطلبة على التعاون والخدمة في أغراض نبيلة لأهلها .
- تستخدم بعض الطلاب بأجر ويعمل فيها آخرون متطوعين ،
وتتألف من بينهم جماعة للمكتبة تمارس نشاطها كسائر أنواع
جمعيات النشاط المدرسي فتنظم محاضرات أو برامج لشهد الكتب .
ولا تختلف روح العمل والسياسة في المكتبات الجامعية
عما هي عليه في المدرسة إلا بان الأولى تبحث في مواد أكثر
تفصيلاً وتعمقاً وأنها لذلك أكثر اهتماماً بخدمات المراجع والفهارس
الخاصة في الموضوعات الخاصة التي تدرس في الجامعة ، كما أن
الكتب فيها أكثر أمعاناً ، وهكذا نجد أن مستوى العقلية
يختلف ، ولكن روح الفلسفة التي تقوم عليها المكتبة واحدة
من حيث هي أداة وظيفية في التعليم ، كما تختلف الواجبات
والأعمال في الجامعة تبعاً لاختلاف التفكير والسن بينها وبين
المدرسة حيث يكون الارشاد في الأخيرة أكثر بينما تكون
أبحاث المراجع في الجامعة أدق وأهم .
- بقيت كلمة عن المكتبات بالنسبة للتعليم العملي والفني ،
ونترك الكلام عنها لما ذكره اتحاد المكتبات الأمريكية في نشرة
مستقلة نشرت بعنوان « لماذا يحتاج المراهق إلى الكتب » .
« الكتب هي وسائل للصناعات . فنشرات المختبرات التي
تأخرس محتويات كل ما نشر في الموضوعات المختلفة هي مصدر

المعرفة عن أحدث تطورات الصناعة والفنون العملية .
والسكتب المعتمدة في موضوع معين تتحدد قيمتها في إيجاد
معرفة أوسع في الموضوع وتصف الوسائل والآلات
وتشرح وتعلل .

والنشرات فائدتها من الأهمية بمكان في معرفة آخر التطورات ،
كما أن مختصرات الصناعة تشرح الأدوات الخاصة وتركيبها وتوضح
ذلك بالصور والوصف والمواد التي تستخدم في الصناعة وأثاثها .
ومن يريد أن يمضى قدما في مرانه وكفاياته فيجب أن يتعلم
كيف يستفيد من السكتب ليكون أكثر إنتاجا واطلاعا .

والنشرات والمطبوعات تساعد من يطلب الالتحاق بعمل
تبين الشروط والخبرة وواجبات العمل الشاغر وتقديم الطلبات
ووسائلها ، كما أنها تسجل اتساع مجال الأعمال وتطورات الصناعة .
ومن ثم يجب ألا يستغنى عنها في المعامل والفصول أو حتى في المنازل ،
فهل تقدر المكتبات في مصر قيمة النشرات والاعلانات
والجرائد والمختصرات والمراجع وهي التي تعد تافهة في نظرها ؟
ومع ذلك فهي من أهم وسائل المعرفة المهنية في نظر اتحاد المكتبات
الأمريكي الذي يؤكد قيمتها في معرض حديثه عن الدفاع الوطني
إبان الحرب في نفس النشرة السابقة الذكر إذ جاء فيها « يجب
أن تسعى الكتب والمكتبات والمدارس والمدرسون والمعامل
للدفاع الوطني ونعني بالكتب النشرات والمجلات وقوائم التجارة ودليل
البيوت التجارية وبيانات الصناعات إلى جانب الكتب الضخمة » .

الصمت غير ممنوع

« يا فتية الأرض ويا صبية العالم اتحدوا !
لقد غمطنا الكبار حقنا وثاروا على سلوكنا وحرقتنا .
لقد سخروا من تحررنا من تقاليدهم اذ رأونا نخطر منطلقين
في الارض بأزيائنا الزاهية !
يا فتيان ويا صبيان
اننا نبغى التحرر في الرأي وننشئ عالما مستقلا بتفكيرنا
بالرغم من الكبار الذين يدعون فهمنا وبالرغم من إدعاء
بعضهم انه يكتب محاطبا عقولنا ،
افتتاحية محرر مجلة نقد كتب الصبيان التي تصدر عن مكتبة
ناتان شتراوس بنيويورك

« إذا كنا نريد ان نهب الطفل هبة واحدة فلن نتردد في
ان نغرس فيه حب الكتب ، و. ف. بيچلو

« الرجا مراعاة الهدوء والسكينة »

هذه لافطة تجدها في اكثر المكتبات وهى موجهة إلى جميع الرواد دون تمييز بين الرجل والصبي والطفل .

واذا تذكرنا أن الصبي والطفل لا يرغبان فى الهدوء والسكينة عرفنا أن معنى اللافتة إما وضع السدود والقيود حيال طبيعة الصغار ، وإما عدم فهم لطبيعة هذين المخلوقين الذين كننا جميعا مثلهما وكلا الأمرين مما ينفر فى المكتبة .

وبما لا شك فيه أن للطفل والصبي حقوقا قبل مجتمعهم لا تقل عن حقوق الكبار قبل هذا المجتمع . وبما لا شك فيه أيضا أن نفسيات الأطفال والصبيان والمراهقين والبالغين تختلف فى الميول والرغبات والتفكير والسلوك وسائر ألوان الحياة النفسية التى تميز كل فريق عن غيره . ولهذا كان وجود مثل هذه اللافتة فى المكتبات العامة أو فى مكتبات المدرسة أمراً لا يتفق وطبيعة الأحداث . فهو فرض من قبل هؤلاء على من دونهم ممن يختلفون عنهم نفسياً وفكرياً بما لا يتفق وفهم هذه الحياة النفسية والفكرية فيترتب عليه العصيان فالزجر . وهو ما لا يتفق وأصول الكرامة الاجتماعية التى تتضمنها التربية الحديثة أو ما ينتج عليه الكتب فالعقد النفسية فالحياة المعقدة الملتوية التى لا تؤدى إلى إيجاد تخلق اجتماعى سليم وهو ما ينافى أبسط قواعد التربية كذلك .

وقد وضحت لنا أهمية الخدمات المكتبية فى حياة الأفراد

والجماعات .

وإذن فمن الظلم الصارخ ألا تهياً مثل هذه الخدمات للأطفال والاحداث والصبية والمراهقين . وقد كان من شأن البلاد التي تقدر للفرد قيمته والتي يشرف الآباء والامهات فيها على سياسة المكتبة في البيئة المباشرة كالبلدة الصغيرة أو الحى أو ما إلى ذلك أن تنهت هذه الائم إلى أهمية الخدمات المكتبية للأطفال وكانت امريكا فى مقدمها إذ بدأت فى اواخر القرن الماضى وسارت فى سياستها قدما حتى انتهت الى ان تكون ارقى الامم فى الاستعداد لهذه الخدمات بما لها من ثروة وبما للنساء من نفوذ فى ميدان المكتبات وبما استطاعه قانون تخصيص العمل وتقسيمه من ايجاد من يتفرغون لهذه المهام ويجيدونها .

ومن الشائع فى الشرق أن من شاب على شىء شاب عليه ، وأن التعلم فى الصغر كالنقش على الحجر ، ولذا كان تعويد التجاء الطفل والصبي إلى المكتبة فى وقت الفراغ وتعوده الاطلاع شيئاً فشيئاً حسب مداركه من أهم ما لهؤلاء الصغار فى عتق المجتمع من حقوق . حتى ليقول «يجل» «إذا كنا نريد أن نهبط الطفل هبة واحدة فلن نتردد فى أن نهبطه حسب الكتب» . وقد سبق أن ذكرت وظيفة المكتبة فى التربية فى حديثى عن مكاتب الجامعة والمدرسة ، وهو يطبق إلى حد بعيد فى خدمات الأطفال والصبيان والمراهقين فى المكتبة العامة ، إذ أن مكتبة المدرسة مهما كانت حرة فهى مقيدة بقيود الدرس والتحصيل

والا لزامات المدرسية . ولذا كان من الضروري أن تعطى هذه الطائفة من الصغار حقوقهم في المكتبة الشعبية أو مدرسة الحياة أو جامعة المواطنين .

لقد زرت كثيراً من تلك المكتبات الصغيرة المترامية كالمصباح في أنحاء الولايات المتحدة فكانت إذا ما اجتزت الباب أرى نفسي في ردهة كبيرة هي المكتبة حيث أجد إلى يميني قسم الكبار وإلى يساري قسم الصغار أو العكس ، وبين القسمين فراغ فيه معارض الكتب الجديدة . وليس المقصود بالتقسيم أن يكون بحواجز من البناء وتخصيص حجرات مغلقة وإنما التقسيم في المكتبة تقسيم وظيفي رغم وحدة البناء . وهكذا نجد القسم الخاص بالأطفال عبارة عن ركن أنيق بسيط فيه معارض زجاجية لكتب الأطفال القيمة ومجموعات من الكتب الخاصة بهم في أرففها الكثيرة بحيث تكون في متناول يد الطفل . وقد علق على الحائط لوحات وصور أنيقة . ولا نعدم أن تجد معارض لرسوم الأطفال أنفسهم وطاقة من الزهر الأنيق ، تجد كل هذا وتجد ابتسامة وبدأ رقيقة ترشد الطفل وتستقبله بحيث يتلاءم هذا ويتسق مع كل ما في هذا الركن الذي يدعو كل شيء فيه الطفل ويسحره ويخاطب له إذ يجد فيه عالمه السحري الذي يتفق مع خيالاته العذبة . وكأن هذه الكتب والقصص والرسوم التي تبدو كذلك أماناً ليست شيئاً آخر غير مصباح علاء الدين السحري أو كهف توم سوير المسحور بما فيه

من ملائكة ومروج وعرائس وجنيات، وكل ما تستطيع تهاويل
الاحلام ان تطرز به الخيال فى نظر الصغار.

وعلة فصل الصغار عن الكبار انهم لحنان غير منسجمين. فللكل
من الفريقين نواحى اهتمامه الخاص تبعاً للفتاوت البالغ بين كل من
العقليتين . فالصغير يجد نفسه مقيداً إلى جوار الكبير الذى
يحصى عليه حركاته وسكناته . والكبير يجد ضيقاً وغضاضة فى
ان يكون مصدر ثقافته وثقافة الطفل واحداً . ولما كان يتسبب
عن الجمع بينهم القيود النفسية والعوائق الذهنية مما لا يتحقق
معها مبدءاً تهية الجو المناسب لكل فريق بما فيه من انطلاق مع
الطبع الذى تتوفر فيه كان من الضرورى أن تستقل خدمات
الصغار وأن تكون لها خصائص معينة تتلاءم وعقلية الأحداث.
وهكذا نجد التخصص فى مكاتب الاطفال فرعا من فروع
التخصص فى فن المكتبات.

ولنفس هذه الأسباب النفسية ميزوا بين الاطفال من
السابعة إلى الثمانية عشرة والصبيان والمراهقين وهم ما بين
الثلاثة عشرة والعشرين . فان الصبيان والمراهقين لا يرغبون فى
الاختلاط مع من يسمون اطفالاً إذ يشعرون بشئ من الحزى
فى أن ينتسبوا إلى زمرة الصغار. ولذا أفردت لهم أماكن خاصة
غير امكنة الاطفال وكتب اخرى غير كتب الصغار . وذلك
كله لازالة كل عائق نفسى يحول بين الافراد من مختلف الاعمار
وبين المكتبة .

فلاطفال أو الصبيان كتب خاصة لها خصائصها في الطباعة والورق والتجليد والرسوم التي تعتبر من أهم العوامل في توضيح موضوعات كتبهم. وكما تختلف تبعاً للسن والجنس. ويتميز كل شيء في هذه الكتب سواء في المادة أو الموضوع أو الشكل تبعاً لعامل السن والجنس. وقد لوحظ في القصص مثلاً أن الذكور من الأطفال في سن معينة لا يستسيغون قصص العرائس التي تحبها الإناث وإنما يميلون إلى ألوان أخرى من قصص البطولة في حين أن الإناث تستسيغ جميع القصص وبعد هذه المرحلة يميل الذكور إلى قصص الرياضة والرحلات والأبطال، وهكذا يخرجون من دور الطفولة إلى الصبا متميزين في كل شيء عن تميز النفسية مما يحتاج إلى عناية المشرفين ودراساتهم. وتولف المكتبة جماعات من الأطفال مختلفة في أنواع النشاط، فمنهم جماعة من المراهقين لنقد الكتب، ومنهم جماعة برامج الموسيقى. وقد شاهدت في مكتبة أطفال - ناتان شتراوس (وهي إحدى فروع مكتبة نيويورك العامة البالغة فروعها حوالي الستين) فريقاً من الأطفال يساهمون في برنامج الموسيقى بأن يحضر كل منهم تسجيلاً صوتياً ممتازاً من عنده ليستمع إليه مع رفاقه في المكتبة العامة، ومن ضمن هذا النشاط برامج القصص التي تليقها أخصائية المكتبة أو برامج المحاضرات ويلقيها الاختصاصيون في أحاديث الأطفال. فنحن حيال فن من الفنون الرائعة التي تحتاج إلى تخصيص في شؤون الأطفال المكتبية والثقافية والتربوية.

ولما كانت المكتبة العامة تفترض - بالرغم من تسهيل جميع وسائل الاغراء - أن من الصعب على الطفل أن يقصدها من تلقاء نفسه فإنها تزحف اليه في مدرسته فتلقى اخصائية مكتبة الاطفال حديثا فيها عن أى موضوع وتغير الطلبة بمجموعة من الكتب التى اصطحبتها معها من المكتبة عن موضوع الحديث الذى ألقته وتطلب اليهم إعادتها إلى المكتبة . ولما كان من الضروري أن يعيدها الطفل كان من الضروري أيضا أن يلبح باب المكتبة مرة على الأقل . وقد تدعو المكتبة بواسطة الصحف أو الراديو أو الدشرات المطبوعة عن برامجها ومعارضها ومحاضراتها والافلام التى تعرضها كىما تغرى الاطفال على ارتيادها .

وحدث حين كانت تعرض إحدى مشكلات الهند على الأمم المتحدة أن انتهزت مديرة قسم خدمات الاطفال بمكتبة نيويورك الدامة المناسبة وودعت مندوبة الهند فى هيئة الأمم للتحدث الى الاطفال . ولكن اخصائية المكتبة رأت أن الحديث وحده قد لا يرضى الاطفال الذين يستهويهم أثر أقرب إلى نفوسهم من الاحاديث فواتها ففكرة إقامة معرض من رسوم الاطفال الهنود واتصلت بالمندوبة بهذا الصدد ، وكانت الجهات الهندية المسؤولة فى نيويورك لديها مجموعة من هذه الرسوم كدعاية ، وسرعان ما أرسلت إلى المكتبة وأعلن عن المعرض وعن حديث مندوبة الهند فى هيئة الأمم وكان موضوع الحديث « الاطفال فى الهند » .

واستمع اليه آلاف مؤلفة من الاطفال وذويهم ، والتف

الأطفال حول السيدة الجليلة يسألونها عن زياها وعن المرأة الهندية وأحوال الهند ويسألون عن الطفل الهندي بوجه خاص . وفي الواقع أن تلك المحاضرة دعاية للهند لم تقصد اليها مكتبة نيويورك . ولكن هذا لا يهم ما دام الأطفال قد أتوا زرافات ووحداً يقصدون المكتبة ليألفوا نشاطها وخدماتها فيما بعد وما داموا قد استفادوا من الحديث ، ولم يكن هذا فحسب ، بل كان درساً من المكتبة للناس عما تستطيع تلك المؤسسات أن تؤديه من أجل خدمة السلام الدولي وتوطيد دعائم المجتمع الانساني والعلاقات الانسانية ، وهو درس رائع لان كل ما يتعلق بالأطفال إنما يمس شغاف القلوب في كل مكان .

ومهما يكن الامر فهذه الخدمات تحتاج إلى استعداد خاص من جانب إخصائيات مكثبات الأطفال . وأقول إخصائيات ، لان أغلب القائمين بهذه الخدمات من النساء . بل قل إن ما يقرب من تسعين في المائة في المكثبات منهن . وفي مجال الخدمات المتعلقة بالأطفال ترتفع هذه النسبة . وقد أصبحت هذه الخدمات من المهن التي تحتاج الى تخصص وتفرغ وحكمة وسياسة لان معنى التعامل مع الأطفال ليس الا التعامل بين عقليتين مختلفتين تماماً . فلا بد ان تعي الاخصائية هذه الحقائق بدراستها وتجاربها في عملها كاستقبال الصغار والتعامل معهم ، ومحاولة فهم ميولهم والموانع التي تحول بينهم وبين القراءة ، ان وجدت ، كما تبدو كذلك في مشكلة اختيار الكتب لهم . ونحن نؤكد أهمية التبصر بهذه

الحقائق لأن أغلب الناس حتى من بلغ منهم أرقى درجات العلم ينسون الحياة النفسية التي كانوا يحيونها في طفولتهم وهي التي تخالف تماماً عقليتهم حين اجتازوا مراحل الطفولة . وقد عجب « رسكن » لهذا الفهم من الكبار الذين لا يتذكرون ما كان لهم في ظل طفولتهم من ثراء الخيال وخصوبة الاحلام .

والواقع ان هناك عدم انسجام بين كل من العقليتين كما قلت . وقد سألت مكتبة - ناتان شتراوس - السابقة الذكر الصبيان الذين زاروها عن سبب حبهم أو بغضهم للمكتبة فقال البعض أنه لا يحبها لأنها لا تتضمن برامج للرقص ، وشكا آخرون لانهم لم يجدوا كتباً عن النسبية . أما اغلب الاجابات فكانت تنم عن إعجاب بالمكتبة لانها مبتكرة جذابة ما دامت مستقلة نهائياً ومخصصة كلها لهم بحيث يحس كل أنه في بيته ، كما أنه يستطيع أن يجد أى كتاب يطلب ، وأقر جميع الصبيان ان أبعث ما في المكتبة على الارتياح انه ليس بها كبار على الإطلاق .

وهيبة الصغار من الكبار يجب ان تتغلب عليها اخصائية المكتبة في خدمة الاطفال والصبيان وان تحرص - اصدقائهم - وحدث في إحدى مكتبات الاطفال في كاليفورنيا أن ذهب صبي في الحادية عشر الى المكتبة لمشاهدة فيلم أعدت عنه ورأى أنه قد صار وحيداً بعد انتهاء الفيلم اذ تفرق اصدقاؤه في انحاء المكان يقبلون فيما يعجبهم من الكتب وما كان هذا الصبي بقارىء ولا يحب للقراءة إذ كانت كل ميوله منحصرة في كرة القدم .

واقعيته على هذا الحال سيدة أخذت تجاذبه أطراف الحديث
ففهمت انه لا يقرأ ولا يحب القراءة وكان حديثها شيقا يفيض
عطفًا ووداً وارتاح لها وصار يتردد على المكتبة ليحدثها عن
مشاكله في فترات الراحة. وكان يشكو لها تصرفات صديقه
في المدرسة وأخذ يتردد عليها عدة مرات لعلها ثلاث أو
أربع حتى كانت مناسبة شائعة اقترحت فيها عليه أن يقرأ
كتابا نشر حديثا وورد للمكتبة عن كرة القدم التي يحبها ولم يستطع
لهذا الاغراء دفعا وإنما أحس ان هذا أمر طبيعي فاخذ الكتاب
وأعجب به فقرأه وأراد ان يقرأ غيره عن ألوان الرياضة الأخرى
ثم تدرجت قبوله إلى موضوعات أكثر جدية حتى صار قارئاً ممتازاً.
وتصدر مكتبة - ناتان شتراوس ايضاً - مجلة عن نقد الكتب
هيئة تحريرها من الصبيان المحبين للقراءة ، وهذه المجلة تمثل عالماً
مستقلاً متميزاً من التفكير والسلوك والرأي لطائفة من المواطنين
الصغار ، وفي زيارتي للمكتبة السابقة الذكر أهدتني المكتبة
عددًا من هذه المجلة يقول محررها الصبي في افتتاحيتها : اتحدوا
يا فتية الأمم ووحّدوا صفوفكم صبيان العالم ! لقد غمطكم الكبار
حقكم فسخطوا على عاداتكم وحرّيتكم وسخروا من تحرركم من
تقاليد جيلكم العتيق إذ يرونكم تخطرون في الأرض مرّحاً
منطلقين بزيكم الزاهي الذي لا يناسب ذوق الكبار السقيم ...
يا فتيان . . اننا نريد أن تتحرر في آرائنا وأن نحيا في عالمنا الخاص
ورغم عالم الكبار الذين لا يفهمونكم وإن ادعوا ذلك. ولوادعى

بعض الكتاب من هؤلاء الكبار انه يكتب لنا ويخاطب عقولنا،
وهكذا تفسح المكتبة الديمقراطية مجال الحرية واستكمال
عناصر الشخصية المستقلة لكل فرد. وهكذا يتعلمون في المكتبة
الشعبية كيف يكونون أحراراً. وإذا كانت المدرسة تطبع التلاميذ
بطابعها المدرسى فإن المكتبة الشعبية تدعم هذا الأساس العام
على أساس حق الحرية والاستقلال.

ولكنها ليست حرية إلى غير حد وإما هي حرية مقيدة
بحيث لا يشعر الفرد بقيودها. نعم هي حرية مقيدة بتعاليم المجتمع
ومثله العليا التي ترسمها الشيوعية في المجتمع اليقظ.

ومعنى هذا كله هو أن التعليم العام في المدرسة يوجد المنهج
ويوجد نظاماً واحداً وأساساً من الشعور الاجتماعى مشتركاً بين
أبناء المجتمع الواحد وبين المواطنين تدعياً للشعور بهذه القومية
الاجتماعية ومثلها الديمقراطية. وهكذا توجد هذه المشاركة قوية
متينة لصالح أبناء المجتمع والتعاطف الاجتماعى والمصالح المشتركة
والإيمان بالمثل العليا الواحدة.

والمعنى الآخر لهذه السياسة هو محاولة إيجاد الفردية والشخصية
وميزاتها المنتجة المبدعة مما لا يتحقق إلا بالحرية. ولعل هذا هو
مكان المكتبة العامة الشعبية الحرة حين تلتقى بالمدرسة المقيدة
التي تطبع الأفراد بطابع عام ما دام هناك تعليمًا عاماً.

وفى الحق انه من الخطأ أن ننسب العمومية وتدعيم القومية
من ناحية والفردية والحرية والشخصية من ناحية أخرى لواحدة.

من المؤسستين دون الأخرى . بل الواقع أن المدرسة الحديثة
والمكتبة الحديثة يتعاونان متضامنين في تحقيق القومية والفردية
أي الروح الاجتماعية والشخصية وجمعهما هو خلاصة فلسفة
الحياة الاجتماعية في القرن العشرين .

هناك حرية وفردية من ناحية ، وهناك الأثر القوي للمكتبات
في إيجاد التجانس بين عناصر غير متجانسة . ويقول المكتبي
الاسكندريثا في «مات» في كتابه «المكتبات الأمريكية من وجهة
نظر أوربية» ، «لأنني أعزو هذا النشاط البالغ للمكتبات في
الولايات المتحدة أولا وبالذات إلى الجهود الجبارة التي تبذل
لايجاد تجانس بين جماعات وافراد غير متجانسين من طريق
الكتاب الذي هو دعامة الثقافة »

المعرفة للحكيم القديم إلى المرواطة الحديث

«الرجل الحكيم ليس هو بالضرورة من يعرف،
ولكنه هو الذي يعرف أين يجد ما يحتاج إلى
معرفة»

ماك كولفين

عرفت زميلاً كان لا يضيع وقته هباءً وإنما كان دؤوباً على التحصيل ، ولما لم يكن له اتجاه معين ، فقد أكب على دائرة المعارف البريطانية يقرأ أجزاءها الأربعة والعشرين وما يحتوي عليه كل جزء منها ، يقرب من ألف صفحة على أقل تقدير .

ولا شك أن هذا جهد مشكور ، ولكني ما أحسب أن دوائر المعارف وما يشبهها من الكتب الضخمة قصد بها أن تقرأ بحذافيرها ، وإنما وضعت لغرض آخر ، ليس هو مجرد تحصيل العلم والمعرفة على هذا النحو ، ومثل ما فهم ذلك الزميل إنما يدل على تفكير لا يتلاءم مع هذا العصر الذي نعيش فيه ، وهو عصر لا تتفق روحه وهذا الجهد الضائع في شتيت الموضوعات ومتباين ألوان المعرفة . فإذا كان يلدش العلم ، فما هو ببالغ من هذا الجهد المبذول شيئاً .

ومع أن الشباب اليوناني في التاريخ القديم كان يستوعب ما يشبه دائرة المعارف ، ومع أن بعض أقداد الحكماء مثل أرسطو وابن سينا وبيكون استطاعوا أن يلموا بشتات المعارف في عصورهم لما لهم من مواهب فذة ، وكما كان العلم محدود الاتفق في تلك العصور ، فأظن أننا لا يمكن أن نجاريهم نظراً لفيض المعارف الزاخر الذي يخرج في مئات الكتب والنشرات والمجلات كل يوم .
أننا لا نستطيع أن نحصل المعرفة كما اتفق لمجرد احتمال حاجتنا إلى جزء يسير منها في حياتنا وخير من ذلك أن نوفر

الجهد وأن نلهم بهذه الكتب العامة التي تستطيع أن ترشدنا إلى ما نريد حين نريد لأننا بذلك نتعلم منهجاً ضرورياً نافعاً لا غنى عنه في عصرنا المعقد الفياض بالعلم وتطوراتها وما يكشفه ويذيعه ويسجله عن الطبيعة والإنسان.

لم يعد العصر الحديث عصر الحكماء الذين يلهون بكل وإنما هو عصر المواطنين الذين يعملون ويكدحون ويحتاجون في حياتهم إلى مرشد يرشدهم.

ماذا يعني رجل الأعمال الذي سئل عن سر نجاحه بالرغم من عدم إتمام تعليمه الجامعي فأجاب بأن أعظم عون له هو أنه عرف أين يجد ما يريد حين يريد؟

وهكذا نعرف أن معرفتنا لطريقه الاستعلام ربما كانت خيراً من معرفة موادنا نحفظها ونحشوها أدمغتنا لننساها بعد ذلك. ومن الواجب أن نتعلم السبيل إلى استخراج ما نحتاجه من فيض المعارف الزاخر وتطورات العلم والإنسان سواء أكان ذلك في المكتبة العامة أو في المدرسة.

فالمكتبة في المدرسة وخارجها لا تقصر خدماتها على إعارة الكتب وتيسير المطالعة وإنما تقوم بخدمات المراجع والاستعلام التي ليست شيئاً آخر غير استخدام الكتب العامة التي يحتاجها المرء للاطلاع على جزء ضئيل مما فيها لا ليقرأها كلها في وقت واحد مثل دوائر المعارف والمعاجم والقواميس والاطالس ودلائل المدن والتقويم السنوية الإخبارية وفهارس المكتبات

وفهارس المجالات .

وقد تكون هذه المراجع خاصة بموضوعات مثل دائرة معارف في الطبيعة أو قاموس في التاريخ الطبيعي أو فهرس للمقالات الأدبية التي نشرت في فترة معينة وهكذا .

دوائر المعارف

وإذا كان لنا أن نختار مثلاً من هذه الكتب العامة فإننا نختار دوائر المعارف لتشير إلى بعض ما يتعلق بها ككتب مراجع من الطراز الأول ، ولأنها هي والقواميس أقدم نوع عرف في التاريخ من كتب المراجع .

وكلمة « دائرة معارف » باللغات الأوروبية مأخوذة عن كلمتين في اللغة اليونانية القديمة معناهما « التعليم الكامل » ، مما يتفق مع ما كان لدائرة المعارف من قيمة في التعليم عند اليونان ، كما أن كلمة قاموس كثيراً ما تستخدم بمعنى « موسوعة » أو « دائرة معارف » ، مثل قواميس التراجم الشهيرة في أوروبا وأمريكا وقاموس « جروفز » في الموسيقى وقاموس « ثوروب » في الكيمياء التطبيقية الخ . وعلى هذا النحو نجد أن تعريف الموسوعة بالانجليزية مماثل لتعريف القاموس ، لأنها ليست غير « كتاب يعطى معلومات عن فروع المعرفة المختلفة ، أو عن موضوع بالذات ، ومرتبطة ترتيبياً أبجدياً » ، بل إن القواميس قبل أن تتطور هذا التطور الحديث الذي نراه ، كانت سجلاً للاقتباسات من مؤلفات هو ديروس وغيره من المؤلفين اليونان أو الرومان ، كما كانت تحوى معلومات

متباينة على نحو ما نشاهد في دوائر المعارف الحديثة ، وعلى نحو ما نشاهد في المعاجم العربية .

ولست دوائر المعارف في موضوعاتها على الاقل بغريبة عن المؤلف العربي ، فقد عرفت المصنفات المتنوعة في مختلف العلوم ، غير أن الفهرسة والتبويب والعناية بتقسيم المادة تحت عناوين متميزة وما إلى ذلك من وسائل التنظيم الفني لفهرسة الموضوعات لم تكن معروفة بل ولا زالت أصولها الفنية مجهولة حتى اليوم ، في الشرق .

ولعل أول من وضع أساس دائرة المعارف الحديثة في نظامها وتبويبها الذي نراه اليوم هو « أفرايم تشامبرز » الذي اصطنع الترتيب الأبجدي على أساس نافع ، فحل مشكلة من أهم المشاكل في منهج البحث في دوائر المعارف وغيرها ، فما كادت تظهر موسوعة تشامبرز في جزئها عام سنة ١٧٢٨ حتى ترجمت إلى كثير من اللغات الأوروبية ، واتخذت مثلاً يحتذى لموسوعات أخرى فتأثرت بها مثلاً دائرة معارف « ديدور ودالمبرت » المعروفة لقراء الأدب الفرنسي في تاريخ الحركات الفكرية لعصر « روسو » وعصر الثورة الفرنسية بوجه عام ، وقد كانت ترمي إلى التمهيد الفكري للثورة ، كما كانت تنشد إرثاء التعليم في عصرها .

ومن المعروف أن دوائر المعارف أو الموسوعات تحتوي معارف متنوعة في موضوعات متباينة ، محاولة بذلك أن ترشد بقدر الامكان في كل فن وبحث ، وهي مرتبة ترتيباً أبجدياً بعناوين

الموضوعات التي يراد البحث عنها . وقد يبدو أن إيجاد العناوين على هذا النحو أمراً سهلاً يسيراً .

ولأفرض أنني أردت البحث عن معلومات عن « الغزالي » مثلاً في دائرة معارف أوربية عامة وليست خاصة بموضوع فلسفي ، وقلبت الصفحات حتى مكان الترتيب الأبجدي لكلمة غزالي ، ولم أجد ما أريد ، فهل أجزم بناء على ذلك بأن الموسوعة خالية من مبحث عن الغزالي ؟ وربما وجدت كلمة الغزالي في ترتيبها الأبجدي فأجد إشارة كالاتي : الغزالي ، أنظر الفلسفة الاسلامية او انظر مادة إسلام .

وإذا كان هناك فهرس ملحق بالموسوعة نظرت فيه فربما كانت المعلومات الخاصة بالغزالي في موضوع آخر أكثر عمومية . ونخلص من ذلك إلى أنه ليست كل كلمة تخطر ببال من الضروري أن تورد في دائرة المعارف كما تصورتها ، فقد تكون واردة تحت عنوان آخر ، فيجب أن أبحث قبل أن أجزم بعدم تعرض الموسوعة للموضوع . وفي الوقت نفسه يجب أن أتصور أكثر من مرادف لموضوع البحث .

وعلى هذا النحو كان اصطناع العناوين المتعددة بقدر الامكان ، وجعل المقالات قصيرة من مميزات دوائر المعارف الأمريكية التي تضع عناوين متعددة ، حتى لا تتضمن المقالات الكبيرة الكثير من الموضوعات الصغيرة .

وتعتبر الموسوعة البريطانية من أهم المراجع في باب الموسوعات

وقد طبعت الآن أربعة عشر طبعة ، وكانت أولى طبعاتها عام سنة ١٧٦٨ في ثلاثة اجزاء ، وظلت تنمو بنمو المعرفة وتطور البحث والاختراع ، حتى أصبحت طبعتها الأخيرة سنة ١٩٢٩ في أربعة وعشرين مجلداً . ولما كانت هذه الطبعة قد مضى عليها الآن ما يقرب من عشرين عاماً ، صار من الضروري ان تعدل المعلومات باستمرار حسب تطور العلوم والفنون والاختراعات ، ولذلك يلحق بها كتاب سنوى يسمى « الكتاب السنوى للموسوعة البريطانية » وهذه خطة متبعة في كثير من دوائر المعارف لتتمكن من تجديد معلوماتها باستمرار ، إذ لا قيمة لكتاب من كتب المراجع دون ان يعنى بالجديد الحديث وببعض المراجع الأخرى تباع في ملفات ، وكلما جد جديد كل فترة أرسل ليوضع في الملف بدل القديم ، ويشير الناشر إلى ذلك بالتفصيل ، ولما كان هذا صعب بالنسبة لموسوعة عامة عديدة الأجزاء ضخمة المجلدات ، فانه يكتفى بأن تجدد معلوماتها بطريقة الكتب السنوية .

ومن المهم الامام بكل هذا ليتمكن استخدام كل ما في الموسوعة من معلومات ، بل ومن الضروري معرفة مميزات كل موسوعة وكيفية تنظيمها ومدى عنايتها بكل نوع من أنواع المعرفة . وليس هذا خسب ، بل يجب معرفة الفرق بين الطباعات المختلفة للموسوعة الواحدة ومميزات كل منها . فدائرة المعارف البريطانية تتميز طبعتها التاسعة ، والحادية عشر انها أكثر فائدة في البحوث التاريخية

والموضوعات الأدبية والفنون الجميلة والتراجم وما إلى ذلك ،
ولكنها طويلة المقالات إذا قورنت بالطبعة الأخيرة ، التي تعتبر
أهم وأكثر فائدة من ناحية البحوث العلمية وتطورات العلوم
والفنون العملية . ومع هذا كله فإن الطبعة الأخيرة واعى بها
الرابعة عشرة ، تعتبر قليلة العناوين طويلة الموضوعات بالنسبة
لدائرة المعارف الأمريكية . وإذا عرفنا أن ملكية نشر دائرة
المعارف البريطانية قد انتقلت إلى هيئة أمريكية ، واعى بها جامعة
شيكاغو ، مع ما عرفنا من توخى الأمريكيين تسهيل البحث على
نحو عملي مجد ، لاستطعننا أن نلجس ما سوف تكون عليه الطبعة
التالية من تقصير في المقالات ، وإيراد عناوين متعددة للموضوعات
وعناية بالاشارة إلى العناوين الفرعية ، وكل ما من شأنه أن يعين
الباحث في سهولة ويسر .

ومع ذلك فإن الطبعة الرابعة عشر لها فهرست موضح إلى
حد كبير . وتلك وسيلة أخرى لا عانة الباحث وإرشاده ، فلا
تكد تملأ دائرة معارف إنجليزية أو أمريكية من فهرس في
مجلد مستقل في الغالب ، كما وجدنا في الموسوعة السابقة وكما
وجدنا في الموسوعة الأمريكية كومتون المصورة ، التي تعالج مقالات
طويلة بخط واضح ، والمطبوعة على ورق ممتاز ، في أسلوب شيق
جذاب ، يتفق مع ما فيها من صور ولوحات وتوضيحات
وعناية فائقة في الإخراج ، إذ قصد بها أن تكون مرجعا لطلبة
المدارس ومن يماثلهم دون أن يحول ذلك من استخدام الكبار لها .

ومن مميزات دوائر المعارف كذلك إيراد قائمة بالمراجع والكتب التي تعالج كل موضوع على حدة في نهاية المقال حتى يمكن الرجوع إليها للتوسع، ويختلف مدى العناية بالتفصيل والتوسع في هذه القوائم تبعاً للغرض وللطائفة التي تعنى الموسوعة بأن تقدم إليها، ولذلك يجب أن يدقق من يريد اختيار موسوعة لاقتنائها في المكتبة، في اختبار هذه الناحية إلى جانب النواحي الأخرى.

ومن أهم دوائر المعارف العالمية «الموسوعة الكبرى الفرنسية» وتعتبر أضخم المراجع، إذ تبلغ واحد وثلاثين مجلداً هي ومطبوعة بين عامي ١٨٨٦، ١٩٠٢، فهي إذن وإن كانت من عيون المراجع، إلا أن أهميتها تقتصر على التاريخ والأدب والتراجم والفنون الجميلة، أكثر منها في العلوم الطبيعية والفنون العملية، لأنها لا تسجل ما حدث من تطور ضخم في التقدم العلمي، فهي - لعدم حداثة - قاصرة من مثل هذه النواحي. وبما تجب الإشارة إليه أنها ليس لها ملحقات كما هو الحال في المطبوعات المماثلة في إنجلترا وأمريكا، التي تخرج الكتب السنوية السابقة الذكر، لتجعلها مسارة للتطور المستمر الذي يسير قدماً. وتعتبر الموسوعة سابقة الذكر، سجلاً للمراجع في الموضوعات التي بينها، وهي الموضوعات الأدبية والإنسانية البسيطة التطور منذ تاريخ نشر الموسوعة حتى الآن، ولا نعدم أن نجد في الفرنسية موسوعة أقل ضخامة من هذه الموسوعة

الكبرى ونفى بها « قاموس لاروس العالمى » الذى نشر لأول مرة بين عامى ١٨٦٦ ، ١٨٩٠ ، إلا أن له طبعات جديدة وملحقات ، بل ان له ملحقا شهريا مما يجعله أحدث وأهم من الموسوعة الأولى فى الموضوعات العلمية المتطورة .

ومن الموسوعات الألمانية « قاموس بروكهاوس » الذى ترجع طبعته الأولى إلى عامى ١٨٦٠ ، ١٨٦٦ ، والذى تأثر بتشامبرز فى موسوعته الانجليزية ، وطبعته الأخيرة ترجع إلى الفترة التى سبقت الحرب العالمية الثانية ، وعليه ، فتعتبر الموسوعة غير مسابقة لأحدث تطورات العلوم . ومهما يكن من أمر ، فهى تمتاز بالمفالات القصيرة ، إلا أنها موقع عليها من مؤلفيها كما هو الحال فى دائرة المعارف البريطانية . والتوقيع على المقال آية من آيات الضمان لقيمة ما هو مكتوب ، لأنه يشير غالبا إلى اسم عالم اخصائى فى الموضوع المدروس ، ولو أن ذلك لا يطبق إلى حد كبير فى موسوعة بروكهاوس . والموسوعة ليست بالغة الضخامة كالموسوعة الفرنسية مثلا ، وإنما تقع فى خمسة عشر مجلداً . ويتميز قاموس « مايرز » الالماني كذلك بوجود خرائط عامة وخرائط المدن ، ويحتوى على تراجم الاحياء ويقع فى سبعة عشر مجلداً .

وأما « دائرة المعارف الإيطالية » فهى آية من آيات الفن والجمال سواء فى الطباعة أو فى التنسيق أو فى إخراج صور اللوحات الفنية إخراجا ممتازاً ، وكذلك الصور العادية والبيانات المصورة ، كما ان مقالاتها ممتازة ، وهى تورد مراجع وافية فى آخر

كل باب ، وحتى مقالاتها الصغيرة موقع عليها بامضاء كاتبها .
وهكذا نجد في دوائر المعارف يميزات خاصة تميز كل منها
وتحدد شخصيتها . فمن الضروري الامام بهذه المميزات لكي
يمكن توجيه البحث على دعامة سليمة منذ البداية .

والايضاح ، يمكن أن نأخذ عدة أسئلة ملتمسين الاجابة عنها
فيما سبق ذكره من هذه الموسوعات : —

١ : أين نجد خير صورة لجبال الألب ؟
٢ : أين نجد معلومات عامة عن التقدم العلمي في القرن
السابع عشر ؟

٣ : أين يمكن أن نجد خريطة لمدينة القاهرة ؟
٤ : أين نجد مقالة عن القطن . ليقرأها طلبة البكالوريا ؟
ونجيب على هذه الاسئلة كما يلي : —

١ : قد اجد صورة لجبال الألب في الموسوعة البريطانية
او الاثريكية ، اما ودائرة المعارف الايطالية ضمن المجموعة
التي ابحث فيها فيجب ان التمس فيها ما اريد ، لانها يجب ان
تذكر ، إذا ما ذكرت أجمل الصور واللوحات ، ولان جبال
الألب تمر بايطاليا . وبالتالي تعنى الموسوعة بذكرها وبذكر
كل ما يتعلق ببلادها بوجه خاص .

٢ : في الحق انه لسؤال محير ، وذلك لان المرء لا يتصور
العنوان الذي يبحث فيه على وجه التحديد ، تحت أى عنوان
أبحث ؟ أبحث تحت مادة علوم ؟

وسوف أضيّع وقتاً طويلاً في البحث إذا لم أكن أعلم أن دائرة المعارف الأمريكية تورد القرون تحت اسمائها، فتورد عنوان «القرن السابع عشر» مثلاً حيث تذكر تحته أهم ما حدث فيه من تطورات وتسجل أبرز خطوات تقدم الجنس البشري في ذلك القرن.

٣ : فأين أجد خريطة لمدينة القاهرة في مجموعة الموسوعات السابقة وحدها وليس فيها أطالس ؟

من المعلوم أن معظم الموسوعات تحتوي على خرائط وصور، ولكن إلى حد محدود، غير أن إيجاد خريطة لمدينة القاهرة بالذات ليس ممكناً باديء ذي بدء إلا لمن يعرف مميزات هذه المجموعة من الموسوعات، فانه واجدها في قاموس مايرز الألماني في الغالب.

٤ : فأين أجد مقالا عن القطن لطلبة البكالوريا ؟ إن تحديد سن درجة ثقافة من أوجه لهم المقال، تحصر بحثي في موسوعة قصدها أن تكون للطلبة، وفي المجموعة التي لدى، ليس أمامي غير « موسوعة كومبتون المصورة »، ولو أنه يوجد غيرها في إنجلترا وأمريكا، وهي أعدت للطلبة كذلك، مثل « الموسوعة البريطانية للصغار » وغيرها، كما توجد موسوعات للأطفال تعالج الموضوعات التي تلائم سنهم وميولهم وفيه من الرسوم والصور ما هو شيق ممتع في نظرهم.

كتب مراجع اخرى

هذه أمثلة من ضرب معين من كتب المراجع التي تفيد في الاستعلام . وقد سبقت الإشارة إلى أنواع اخرى من المراجع والفهارس من العبث ان نحاول حتى مجرد الالمام بها في هذا المقال . وقد تكون دوائر المعارف من الانتشار والذيع بحيث يصير الحديث عن قيمتها ومكانتها في الاستعلام من القول المعاد . ولكن يوجد الى جوار هذه المجلدات الضخمة كتب اخرى صغيرة رخيصة الثمن لها اهميتها في هذا المجال ، مما يدل على ان الاستعلام يتجه إلى حيث تكون الحاجة إلى معلومات قد تبدو تافهة في نظر العلماء وغير العلماء ، ولكن إيرادها ككتب استعلام ، لا يعنى شيئاً آخر غير ما قلناه آنفاً من ان العلم والمعرفة شيء آخر غير الاستعلام .

ومن هذه الكتب الهيئة الأمر ، ما يمكن ان نسميه الكتب السنوية الاخبارية ، وهي من اكثر كتب الاستعلام انتشاراً واستخداماً .

ولعل « تقويم هويتكر » الانجليزى معروف لدى البعض ، وقد يكون من الضروري ان نقول كلمة عن محتوياته كمثل لمحتويات هذه الكتب الاخبارية السنوية العامة . فهو يحتوى على تقويم فلكي ، وثبت باختصارات العامة المصطلح عليها ، وسجل بالاعیاد القومية ، ودواوين الحكومة ، والشؤون التجارية والزراعية والصناعية ، ويتضمن احصائيات ومعلومات عملية عن

جميع الدول، كما انه دليل للمستشفيات والمدارس والأكاديمية والبنوك وشركات التأمين، والمرتبات والاعجور، والرياضة، والجمارك، والضرائب، ومعلومات اخرى عن العلوم والاختراعات، والادب والفن والموسيقى والتمثيلات والافلام السينمائية والاذاعة وتوجد انواع اخرى من الدليل، كدليل الاشخاص والتراجم، في كل بلد من بلاد العالم المتحضر، ودليل من ماتوا في غضون السنة التي ظهر في نهايتها الدليل. وهناك الدليل الدولي للاحياء، مثل تقويم «جوته» عن السامة وملوك العالم والاسر المالكة وافرادها، والدليل الدولي الذي تنشره دار اوربا للنشر بالانجلترا، ويحوى معلومات عن اشهر العلماء والسياسة وافذاذ الرجال في مختلف دول الارض.

ويلاحظ ان ما ذكرت، إنما هو خاص بالمعاصرين والاحياء. اما كتب التراجم المطولة، مثل قاموس التراجم الوطنى فى انجلترا، ومثله فى امريكا، فهى فى الغالب للهوتى من ابناء الدولة الواحدة، وهى ايضا سجل للشاهير الذين بنوا واقاموا مجد الاوطان.

وتوجد قواميس تراجم عالمية للاشخاص العالميين، الذين ساهموا فى حضارة الانسان، وشاركوا بعجرياتهم الغدة فى تشييد صروح العمران، اشهرها: (قاموس نلسون) و(قاموس تشامبرز) و(قاموس هاموند المختصر) و(قاموس لينكات للتراجم والاساطير). وليست قواميس او موسوعات التراجم بالكتب المحدودة الحجم، فان قاموس التراجم الوطنى فى انجلترا،

يبلغ ثلاثة وستين مجلداً . ويحتاج البحث في كل منها الى معرفة المجال الذى يدرسه القاموس .

وفهارس الكتب والمكتبات من المراجع البالغة الأهمية المعرفة الكتب التى كتبت عن موضوع معين، او اسم الكتاب الذى ألفه مؤلف بالذات ، او اسم المؤلف الذى ألف كتاباً معيناً ، او تحديد مكان وجود الكتب النادرة، او الخاصة . ولكل نوع من انواع الفهارس مميزات، ومجال استخدامه عند الحاجة . كل هذا الى جانب فهرس المكتبة التى يلجأ اليها الفرد فى بحثه، والذى يجب ان يكون مرشداً للمؤلف او العنوان إذا جهل احدها ، كما يجب ان ينظم بحيث يتضمن الكتب التى الفت عن موضوع معين تحت عنوان هذا الموضوع ، علاوة على إيجاد فهرس وقوائم مستقلة فى موضوعات لها اهميتها الخاصة .

والمجلات بالغة الأهمية للأسباب الآتية : -

- ١ - انها تحوى أحدث المعلومات التى تنشر بأسرع وسيلة .
- ٢ - وهى تاتى بمعلومات قد لا تنشر فى كتب مستقلة .
- ٣ - وهى تدلنا من الناحية التاريخية على النحو الذى كان يفكر عليه الناس فى عصورهم وبيئاتهم .

وفهارس المجلات والدوريات تظهرنا على :

- ١ - اسماء المجلات التى تدرس موضوعات معينة كالكيمياء او الطبيعة او علم النفس، ويرشدنا اليها دليل مثل

٢ - فى اى المجلات ، وفى أى عدد ، وفى اى صفحة من
المجلة يوجد موضوع بالذات ويرشدنا فى ذلك

1 - International index to periodicals, Wilson, New-York

2 - Reader's guide to periodicals, Wilson, N. Y.

وهذا الأخير اقدم ظهوراً من الاول .

٣ - فى اى المكتبات العامة توجد مجموعات المجلة فى تواريخ معينة
ويرشدنا إلى ذلك قوائم مثل :

1 - Union list of serials, Wilson, N. Y.

2 - World list of scientific periodicals, Cambridge.

٤ - فى اى بلد تطبع المجلة وتُنشر . ويرشدنا إلى ذلك مثل دليلي :
Ayre فى امريكا و Mitchell فى انجلترا .

٥ - معظم الفهارس تشير إلى الناشر والثن والعنوان .

٦ - وترشدنا إلى اسم المجلة القديم اذا كان قد تغير .

ويمكن للاستعلام عن الحوادث الجارية استخدام فهرس
الجرائد ، وهى فهرس موضوعية لأُمّهات الصحف . مثل فهرس
« النيو يورك تيمس » ، وهو هام للجميع ، وللصحفى بصفة خاصة .
ويمكن الاستعانة بالاطالس لمعرفة الحالة الجغرافية ، والمناخ
وتحديد فى اى دولة توجد بلد من البلدان ، وخطوط سير السفن
والملاحة والزمن والمسافة ، وقد يقصد بالاطالس ان يكون
تاريخياً مثل « اطالس فيليبس التاريخية » .

ومن هذه المصادر ايضا ، قوائم الاثمان ، واوصاف الادوات
والسلع ، وجدول الزمن للقطارات والسيارات والسفن والطائرات

وانواع من دليل المقاحف والهيئات الحكومية والبنوك والجرائد
والصحف والمعاهد والجمعيات العلمية واتحادات الغرف التجارية،
ودليل المكتبات ودليل المهن المختلفة كالمحاماة والطب والهندسة
والتمثيل والسينما الخ. وقبل هذا وذاك، دليل المدن، ودليل التليفون.
وهكذا تجد مختلف ألوان المراجع العامة من قواميس إلى
دوائر معارف، إلى أنواع الدليل المختلفة التي حاولنا ان نتكلم
عنها في اختصار وإيجاز في هذا المقال، لنضرب مثلاً لما نغنيه
بكتب المراجع العامة التي تتميز عن كتب المراجع الخاصة بأن
الآخيرة تدرس موضوعات خاصة كالكيمياء أو الطبيعة أو
الفلك أو الموسيقى الخ.

* * *

ولاهمية هذه الكتب وما تستطيع ان تؤديه من خدمات
تدرس كمادة من أهم المواد في برامج دراسة فن المكتبات،
باسم المراجع والفهارس. وهذه الخدمات تعتبر خدمات أصيلة
ورئيسية تقوم عليها المكتبة الحديثة التي ترشد أبناء المجتمع إلى
الحقائق. وإذا كانت المكتبة تعتبر إعارة الكتب العادية حقاً من حقوق
المواطن، فإن إجابة هذا المواطن عن استعلام هو في حاجة لمعرفة
الإجابة عليه لا يقل في أهميته عن إعارة الكتب وغيرها من
الخدمات الرئيسية.

والأهم من هذا كله، هو ان نعلم أبناءنا طرق البحث سواء في
المدرسة أو في الجامعة، وسواء أكان ذلك على نحو عام كما هو في

الأولى، أم خاص كما هو في الجامعة، بحيث يلم الطالب بمناهج البحث في كتب المراجع العامة، ويلم كذلك بكتب المراجع في موضوع تخصصه.

اننا لا نريد قوما يحفظون ويحصلون، وانما نريد ان توجد جيلا يعرف اين يجد ما يريد حين يريد. وذلك، في رأي، هو سبيل قويم للتعليم، يمتلك به الطالب ناصية منهج من مناهج البحث والاستعلام، يواجه به مشاكل الحياة والمعرفة. فالفارق بين من يعتمد على ما حفظه وحصله من العلم ومن يعرف اين يبحث، كالفارق بين من يعتمد في معاشه، على مال ورثه، ومن يعتمد على مهنة تعلمها، فكل قيمة الوارث في ماله، واما صاحب المهنة فهو يحصل على معاشه بعلمه وخبرته التي أضحت جزءاً من شخصيته. وعلى كل، فالمعرفة والتحصيل والقراءة من ناحية، والالام بوسائل الاستعلام والبحث من ناحية أخرى، صنوان، وكل منهما يكمل الآخر. ولذا يجب أن نتعلم هذه الوسائل كيما ننمي المعرفة ونيسر التحصيل ونجعله أمراً حيويًا نأخذه عند الحاجة وعند تهيو النفس وتفتح الذهن.

والمسكنة في المدرسة جديرة بأن تعلم هذه الخدمات وتجعلها عادة، كما ان المكتبة العامة في الحياة هي الملاذ الذي يلجأ اليه الفرد للاستعلام الصحيح المنزه عن الأغراض، ومن واجبها أن تمدنا بهذه الخدمات كما تؤديها في الغرب. وإذا كنا نتعلم هذا كله من المكتبة فيجب أن نتعلم منها أيضا الاعتماد على النفس

في استخدام مراجع الاستعلام .
إننا بذلك لا نملك كنزاً قد يضيع هباءً أو قد يسرق ، وإنما
نملك مفتاحاً لكنوز وثروة نستخرجها حين نحتاج إليها .
فهل حقا أن الرجل الحكيم ليس هو بالضرورة من يعرف
وإنما هو الذي يعرف أين يجد ما يحتاج إلى معرفته ، ؟

يمكن الرجوع إلى المراجع الرئيسية للمقال وهي :

Mc Colvin : How to use books.

Mudge : Guide to reference books.

Shore : Basic reference books.

VanHousen : Bibliography.

فتون المكتبات

« لم يعد اخصائى المكتبة موظفا إداريا بعيداً عن
المساهمة فى رسم سياسة نشاط المعهد الذى يعمل
فيه ، ولكنه شخص درس ومارس هذا الفن ،
فأصبحت عليه واجبات تربوية ، وأنيطت به مسؤوليات
اجتماعية خطيرة ،
ورستن

يحسب أكثر الناس في الشرق أن أعمال المكتبة إنما هي أعمال كتابية وضعية الشأن، قليلة الجدوى، بحيث ينزلونها إلى مراتب الهوامش والتوافه، دون أن يفتنوا إلى ما لها من أثر عميق الغور ونفوذ فعال في تكوين المجتمعات ورفع مستوى الأمم، على نحو ما حاولت أن أبين في الفصول السابقة، مما تستطيعه المكتبة في مجال الإصلاح الاجتماعي وأساليب التربية والتعليم والبحث وانفاق وقت الفراغ.

وسبق أن بينت مدى حاجتنا إلى معهد على الأقل لتخريج نخبة من ذوي الثقافة الممتازة للنهوض بهذه المؤسسات، ومدى أهمية تدريس هذه المواد في معاهد التربية لتخريج معلمين على إلمام بأساليب الخدمات المكتبية وبمهمة المكتبة الخطيرة في التعليم، وضرورة وجود هذا اللون من الدراسة في كل مجال من مجالات التعليم في مختلف المعاهد والكلية.

والاهتمام بالمكتبة أمر واضح في الحضارة الغربية التي عنيت بها، وأقامت المعاهد المختلفة لتخريج الاختصاصيين والخبراء فيها. وانتهى الأمر بالمكتبات إلى أن تكون آية النهضة، ومرآة العناية بالعلم والبحث، والتربية الشعبية، وما كانت لتكون كذلك لو أنها أهملت أو اعتبرت ضرباً من المخازن، وما كانت لتكون كذلك لو أن هذه الأمم الغربية لم تفتن إلى أهمية إذاعة هذه الدراسات، والتمرن على ألوان هذه الخدمات التي تعد مهنة خاصة، فامم الغرب آمنت بما هو شبيه بما ذكره الأستاذ (يوسف

اسعد داغر) أمين دار المكتب اللبنانية في مقال له بمجلة الأديب، عدد كانون الثاني سنة ١٩٤٧، في عرضه لأهمية المكتبات، وضرورة العمل على إتاحة دراسات لها في الشرق فذكر ما قاله (كيويك) مفتش عام المكتبات بمدينة باريس حيث قال «إن الوسائل التجريبية والتعليم الذاتي يسببان أبدأ ضياعاً في الوقت واضطراباً في العمل وإفساداً لرسالة المكتبة، ومن ثم يجب أن يكون المشتغل بها قد اجتاز مرحلة التعليم ليحقق طريقة العمل والأخذ به»

وقد تقدمت دراسات المكتبات في الغرب حتى صارت جامعة مثل جامعة شيكاغو تمنح درجة الدكتوراه فيها، إلى جانب ما يقرب من ثلاثين جامعة أخرى في أنحاء الولايات المتحدة وحدها تمنح درجتى الأستاذية والبكالوريوس، ومن شروط الالتحاق لنيل درجة البكالوريوس أنه لا بد أن يكون الطالب قد انتهى من نيل درجة جامعية في موضوع خاص وأن يكون قد اشتغل بالمكتبات.

وليس لي أن أحدثك عن مثل هذه المعاهد والجامعات في أنحاء أوربا، وإنما أقول أن بعض ولايات أمريكا الجنوبية، وهى ليست أرقى من بلانا تحضراً ولا نهضة قد أنشأت معاهد من هذا القبيل إيماناً منها بالقيمة الاجتماعية والتربوية للمكتبات. وفي كل بلد ناهض، إتحادات للمكتبات متعددة، وهيئات تشرف على رفع مستوى هذه المهنة والتقدم بهذا الفن، وإذاعة

المؤلفات عنه ، وتنسيق التعاون والخدمات بين المشتغلين به ،
سواء أكانت هذه الهيئات حكومية أم أهلية ، و- لكل منها مجلة
دورية على الأقل تعنى بنشر الأخبار الهامة عما يجد ، ولا يتسع
المجال لبسط أوجه النشاط المختلفة التي يقوم بها كل اتحاد
وكل هيئة نهضت لخدمة المكتبات ، باعتبارها جامعة لتعليم الشعب ،
وباعتبارها وسيلة للبحث والتقدم العلمي والتعليمي .
فإذا يتعلم الفرد ليكتسب الخبرة والمكان وما هي الثقافة التي
تؤهله للعمل بالمكتبة ؟

إنني لاقتضب الحديث ، فأقول إنني لم أراجع الى مراجع ضخمة
ليبيان امثلة لما يدرس من الثقافة المكتبية ، وإنما رجعت الى نشرة
مدرسة الخدمات المكتبية ، بجامعة كولومبيا ، بنيويورك ، لعام
١٩٤٦ - ١٩٤٧ . وقد ورد في برنامج الدراسة الكثير من
الموضوعات ، منها ما هو ضروري لا بد من ان يدرسه كل طالب ،
ومنها ما هو اختياري يدرس حسب الميول الى التخصص في
فرع معين . وتلخص الموضوعات الواردة في النشرة المشار
اليها فيما يلي

١ - الفهرسة والتبويب ، أي كيفية عمل الفهارس وبطاقاتها
وتبويب هذه البطاقات في تقسيم مصطلح عليه . وموضوعات
معروفة .

والغاية من ذلك إيجاد الوسيلة الفعالة لاطلاع القارىء على
مافى المكتبة من كتب فى سهولة ويسر ونظام. ويحتاج الطالب الى إلمام
بالاصطلاحات المتبعة والقواعد المرعية مع فهم لموضوع كل
كتاب لامكان تبويبه وارشاد القارىء اليه .

٢ - أساس الخدمات المكتبية من الناحية الاجتماعية
والعلمية ، وتطور المكتبة وانظمتها وصلتها بالمعاهد التعليمية
والمؤسسات الاجتماعية الخ .

٣ - إدارة المكتبات وتنظيم العمل وتقسيمه، وواجبات
الاخصائيين وعلاقتهم بها ومدى مسؤوليته كل منهم فى عمله الفنى
والادارى، والمؤهلات التى تشترط لكل عمل فيها وما الى ذلك .

٤ - الخدمات المكتبية الشعبية وانواعها ومدى صلة الجمهور
بالمكتبة، وكيفية عمل احصائيات شاملة لدراسة المنطقة اجتماعيا
ودراستها من ناحية الوسائل التى يمكن أن تمتد بواسطتها الخدمات
المختلفة لكل طائفة ، وعلاقة المكتبة بالمؤسسات الحكومية
والأهلية كالمدارس والجامعات الخ .

٥ - المكتبات فى الجامعة والكليات وعلاقتها بالتدريس،
ومجلس الجامعة او الكلية، وانواع الخدمات الواجبة مع الاهتمام
بalfهارس والمرجع وتقسيم العمل لجعل المكتبة وحدة وظيفية
فى منهج البحث والدراسة الخ .

٦ - المكتبات فى المدرسة وتدرس صلتها بالمدرسة ومناهجها
واهميتها التربوية، ونواحي النشاط المتلائم مع النشاط المدرسى

سواء من ناحية الدراسة او وسائل انفاق أوقات الفراغ، ودراسة عقلية التلميذ والموانع العقلية والجنسية التي تحول دون تقدمه، وطرق إغرائه على القراءة، وأنواع القراءة الملائمة لكل سن والفهارس والقوائم والدوريات التي تسجل الكتب الملائمة لعقليات التلاميذ في مختلف أعمارهم، وترتيب المكتبة بما يتلاءم وهذه العقليات .

٧ - المكتبات في المؤسسات الخاصة كالشركات والسجون والمستشفيات، ومعرفة أغراض كل مؤسسة، وقد سبقت الإشارة الى مثل هذه الخدمات في فصل « بروميثيوس » الجديد من هذا الكتاب .

٨ - علم المراجع الخاص والعام، ويرمى الى جعل الطالب خبيراً بكتب المراجع العامة، كدوائر المعارف والقواميس والمعاجم والأطالس وأنواع الدليل وفهارس المكتبات وفهارس الدوريات والنشرات والرسائل الجامعية وغيرها، وهذه إما عامة، للاستعلام الذي يحتاجه جمهور الناس او خاصة بفرع معين من العلوم والفنون وبواسطتها يستطيع المرء ان يستعلم عما نشر في بحث خاص او يقف على محتويات كل موضوع نشر في بحث بالذات او يستعلم عن الشركات او الهيئات او المواعيد... الخ. راجع فصل « المعرفة من الحكيم القديم الى المواطن الحديث » من هذا الكتاب .

٩ - فن اختيار الكتب وتقديرها ونقدها وسنعرض له

فيما بعد بشيء من التفصيل كمثل من الثقافة المكتنية .

- ١٠ - دراسات عن ميول القراء من البالغين ، وعقلياتهم ، والعوائق التي تعوقهم عن القراءة وخطواتها السيكولوجية ، ومميزات كتب كل طائفة من طوائف البالغين ، وكيفية تشجيعهم بواسطة برامج القراءة التي تنظمها المكتبة وغيرها الخ .
- ١١ - مكتبات الأطفال وصلتها بالمكتبات العامة والمدارس ، وجمعيات الأطفال ، وعناصر الخدمات في مثل هذه المكتبات ، وسيكولوجية الطفل وعلاقتها بالقراءة وميول كل طائفة حسب السن والجنس والبيئة ومميزات الكتب الملائمة لكل منهم من ناحية الموضوع والرسوم والصور التوضيحية ، ودور النشر التي تهتم بنشرها ، وأشهر الكتاب الذين يكتبون للأطفال ، وأشهر الكتب التي كتبت لكل طائفة منهم ، والفهارس التي تسجل هذه الكتب ووسائل تشجيع الأطفال على القراءة بالأفلام والحفلات الموسيقية والمسابقات والمعارض وقص القصص عليهم تبعاً لبرامج معينة ، واتصال الاختصاصية بالأطفال في المدرسة وغيرها في خارج المكتبة ، والامام بمشاكل الأطفال وتربيتهم وتعليمهم .
- ١٢ - تاريخ الكتب والطباعة وتطورها ، مثل الامام بطابع المخطوطات في مختلف العصور ، وتطور الطباعة وحرورها واشكالها وطرقها لا مكان تمييزها ومعرفة كل طابع . الخ .
- ١٣ - علم النفس التطبيقي للمكتبات والافادة منه فيما يتعلق بالخدمات أو بالقراء وغير ذلك .

١٤ - اعادة البالغين الكبار على القراءة، وهى دراسة لمن يهتم بخدمة البالغين الذين يريدون تعليم أنفسهم، لرغبتهم فى تحسين مستواهم. ذلك بحقق مهنة أو إرضاء هواية، وهذه الدراسة من شأنها أن تجعل مرشد القراءة قادراً على فهم كل عقلية ومستواها، والكتب التى تصلح لها، وإعداد قوائم من الكتب ملائمة، لكل واحد من هؤلاء القراء، لبيان مستواه ومهنته وتعليمه ومدى تقدمه وهكذا.

١٥ - تدريس أهمية المكتبات كمؤسسة تربوية، تعليمية وهو فى الغالب لمن يهتمون بتدريس المكتبات والمعلمين.

١٦ - علاقة المكتبة بالمجتمع والبيئات المختلفة فيه والجمعيات والهيئات وتاريخ المجتمع وثقافته ولون الحياة السائد ووسائل خدمته وعمل احصاءات شاملة من الواقع النخ.

١٧ - مكتبات الموسيقى ووظيفتها وأهميتها وخدماتها، مثل جمع التسجيلات الصوتية، وطرق اختبارها، واعدادها وفهرستها، والعناية بمعرفة أشهر التسجيلات، وأشهر الموسيقيين مع تمييز الطوابع المختلفة لموسيقى كل شعب وعصر، الى جانب اقسام الاستعلام عن مجلات ومعاهد الموسيقى ودورياتها، وأشهر شركات التسجيل واختصاص كل منها، والمسارح المختلفة وأشهر الممثلين الفنانين، والملحنين والمغنين النخ.

١٨ - خدمات المكتبات الطبية مثل الوقوف على مصادر المراجع فى الابحاث الطبية ومعرفة خصائص كل منها مع العناية

بأوجه الاستعلام والمراجع المختلفة التي تمت بصلة الى الطب وشؤونه وأبحاثه ومعاهده وأشهر رجاله في كل فرع الخ.

١٩ - دراسة صناعة النشر ووسائلها واساليبها وأساليب الطبع والاعلان والدعاية وشركاتها، ويدرس الى جانب ذلك طرق تلخيص وفهرسة المقالات العلمية وغيرها مما له خطر وشأن في تطور العلوم والفنون وذلك لنشرها في دوريات تعتبر فهارس لمحتويات الكتب والمجلات والابحاث في كل باب من أبواب المعرفة.

٢٠ - فهرسة وتبويب المجلات والدوريات وهي التي تختلف عن الكتب من حيث اعدادها ومجلداتها واستمرار صدورها مما يجعل لفهرستها وتبويبها نظاما خاصة تختلف عما هو متبع في الكتب.

٢١ - ادارة المكتبات الخاصة بالمرضى في المستشفيات وقد سبقت الاشارة اليها في فصل بروميثيوس الجديد.

٢٢ - المكتبات القانونية وعلاقتها بالمؤسسات القانونية وأشهر المكتبات في هذا الموضوع والامام بكتب المراجع في البحث، ومصادر القوانين وكتبها والهيئات التي تنشرها وكيفية الحصول عليها، وكيفية جمع المعلومات من مصادر غير مطبوعة، وغير ذلك مما هو متعلق بكل مكتبة توقف على موضوع خاص.

٢٣ - المطبوعات والمنشورات الحكرمية وأنواعها ومصادرهما وطرق الحصول عليها ووسائل استخدامها وفهرستها وتبويبها،

وكل ما يتعلق بمثل هذه الخدمات في مطبوعات الدولة أو مطبوعات الدول الأجنبية .

٢٤ - القصص المعاصر ومذاهبه وأنواعه واختلافه عن قصص القرن التاسع عشر وما سبقه، وأشهر المؤلفات، وأعلام المؤلفين في مختلف البلاد، مع العناية بالدوريات والفهارس التي تعنى بالقصص ونقده وتلخيصه ، وأشهر الناشرين انج .

٢٥ - الميكرو فيلم وطرق استخدامه في الخدمات المكتبية، والميكرو فيلم من شأنه ان يصور الوثائق والمخطوطات التي تحتاجها المكتبة أو يحتاجها باحث في حيز ضئيل جداً لتعرض في أى مكان آخر بواسطة آلة العرض، كما أنه يصور الجرائد الكبرى مثل « النيويورك تيمس » فتحصل المكتبة على أفلام مصورة ضئيلة الحجم فتوفر بذلك في حيزها بدلاً من المجلدات الضخمة التي تملأ فراغ المكتبة، والمعروف ان المكتبات تعاني بمرور الوقت من ضيق المكان . وفي هذه الدراسة يلزم الطلبة بوسائل التصوير المختلفة ومميزات ومضار كل منها وكيفية استخدام آلة العرض الخاصة بالميكرو فيلم كما يتعلمون كيفية استخدام آلة التصوير وكيفية الحصول على الأفلام مع الإلمام بمصادرها وموضوعاتها وكيفية أعدادها وتنظيمها وكل ما يمت الى هذا الفن بسبب .

٢٦ - توضيحات ورسوم الاطفال وأنواعها وما يتلائم منها مع كل جنس وسن وبينة وأشهر الكتب التي تعنى بالرسوم وأشهر

الرسمين وأشهر دور النشر .

٢٧ - توضيحات ورسوم الكتب الأخرى وأنواعها ومدى أهمية كل نوع ومدى ضرورتها في كل موضوع وفي كل مستوى .

٢٨ - هندسة البناء الخاصة بالمكتبات حسب حجم ووظيفة كل مكتبة والاصول التي يقوم على أساسها البناء ليكون وظيفيا، أى حسب ما تؤدي المكتبة من خدمات ، وليكون مرنا قابلا للاضافة اليه أو لتغيير تقسيمه الداخلى ويراعى أهمية تسهيل ارتياد الجمهور له ومدى اقباله عليه .

٢٩ - دراسة الخطوط والحروف في الطباعة وتطورها في مختلف العصور بالتفصيل .

٣٠ - دراسة المكتبات في الريف وطابع الحياة الاقتصادية والاجتماعية ودرجة التعليم ومدى قربها واتصاله بالحضر، وأنواع الكتب والمطبوعات التي يمكن ان يفيد منها ، وكيفية إيجاد الخدمات المكتبية على نحو مجد .

٣١ - الوسائل الفنية لاعداد منشورات ومطبوعات المكتبة، كالفهارس والنشرات وقوائم المكتبات وما إلى ذلك .
هذا برنامج الدراسة في جامعة واحدة لسنة دراسية واحدة، وتوجد دراسات أخرى في جامعات أخرى مما يمت الى ما ذكرت بسبب .

ومهما يكن الامر فان الدراسة في بلد اجنبي لا تغني عما نريده

من برامج لدراسة المكتبات في بلادنا بحيث تتفق وثقافتها ولون حضارتها وطبيعة الحياة الاجتماعية فيها.

وقد اقترح الاستاذ يوسف أسعد داغر في مقاله آنف الذكر، بمجلة الاديب، عدد أمن الموضوعات جعلها أساسا لبرنامج دراسة هذا الفن ليتفق والثقافة العربية ونحن بدورنا نشير فيما يلي الى رؤوس تلك الموضوعات التي اقترحها الاستاذ :

١ - الكتاب وتاريخه ومادة الكتابة والورق والطباعة وتطورها في الشرق والغرب.

٢ - علم الخطوط العربية ومدارسها وطابع كل مدرسة وتطور الخط.

٣ - علم نقد النصوص.

٤ - تاريخ المكتبات في الشرق والغرب.

٥ - فن تنظيم المكتبات.

٦ - علم الفهارس والمراجع.

٧ - الثقافة العربية ومقوماتها السياسية العربية والغربية والالتجاهات الحديثة وحركة النقل والترجمة.

٨ - علم الصحافة والصحافة العربية.

٩ - الاستشراق وتاريخه.

١٠ - تاريخ علم الآثار الشرقية.

١١ - أوليات علم العمارة.

١٢ - اللهجات العربية وعلاقتها باللغات السامية.

١٣ - تاريخ الحضارة الإسلامية .

١٤ - فلسفة التاريخ الشرقى والغربى .

١٥ - دور المحفوظات فى الشرق وفن تنظيمها .

تلك هى رؤوس الموضوعات التى اقترحها كاتب المقال ومن الملاحظ انه يعنى بالدراسات الادبية والثقافية والتاريخية الى جانب الفن المهنى لتنظيم المكتبة وادارتها .
والواجب أن نهتم بالجانب العملى فى هذه الدراسات على ألاّ يحول ذلك دون دراسة ما يتفق وحضارتنا، مثل ما اقترحه الأستاذ داغر .

ولما كان مجرد ذكر رؤوس عناوين الدراسات التى تدرس لا يكفى للدلالة على اهميتها وكنهها ، فقد رأيت أن أختار منها موضوعا حيويا شيقا لا تناوله بشئ من التفصيل .
وقد راعيت فيه ألا يكون فنيا بحثا قاصراً على المشتغلين بالمكتبات وحدهم ، وانما هو موضوع مما يهم كل محب للبحث والمطالعة ، وكل من يحفل بالمكتب وقيمتها ويؤثر بقدرتها وأثرها .
وأعنى بذلك موضوع « فن اختيار الكتاب » الذى أعرض له فى الفصول التالية فى حدود مستوى المكتبة الشعبية ، وصلتها بالثقافة ومستوياتها الاجتماعية العامة ، وذلك حتى لا نخرج من موضوع الكتاب وما للمكتبة والسكتب من علاقات اجتماعية تبدو فى الثقافة العامة التى تهبط للقارىء العادى .

فن اختيار الكتاب

«لا تقدر جهود المشتغلين بالمكتبات تبعاً لكثرة الكتب التي أعاروها، ولا تبعاً لما يدبرون من مال ينفق على الكتب، وإنما المقياس الصحيح لنشاطهم هو المدى الذي وصلت إليه جهودهم في جعل الكتب العظيمة شيئاً حياً سائفاً ملهماً للناس، فإذا لم يكن المشتغل بالمكتبة ثقة في الكتب خبيراً بها، فإنه كالطبيب الذي لا يفيد من علمه في العلاج».

مجلة مكتبات نيويورك يوليو سنة ١٩١١

لما كان من المستحيل على المكتبة الشعبية أن تشتري جميع الكتب فانها تحصل على ما هو جدير بالشراء ، في حدود ميزانيتها ، التي يخصص منها الربع لشراء الكتب ، في حين يخصص النصف لاجور الموظفين ، وأما الربع الباقي فينفق على الاثاث والتأمين والنشر وتكاليف البناء والنظافة وما الى ذلك .
ويقسم المبلغ الخاص بالكتب الى ٤٠ ٪ / لشراء الكتب الموضوعية و ٣٠ ٪ / للقصص والرحلات والتراجم و ٣٠ ٪ / تخصص لشراء كتب الاطفال والصبيان .

وتضع المكتبة نصب عينها التوفيق بين مطالب الناس وما يرضى رغباتهم ، وبين ما هو جدير بأن يكون ثروة خصبة في حياة الجماعة .

ولذلك فقد عنيت المكتبة بدراسة هذه الرغبات والوقوف على التيارات الاجتماعية والنزعات التي تسود في فترة معينة والتي يزداد فيها الاقبال على لون معين من الكتب .

وقد بين الباحث الاجتماعي ليند في كتابيه عن دراسة نموذج للبلدة الأمريكية ، مدى تأثير الازمات الاقتصادية على القراءة ، كما سجلت فترة الازمة الاقتصادية الأمريكية اقبالا على لون معين من الكتب ، كما سجلت حركات تقدمية انشائية في تاريخ النشر مما هو ظاهر من احصائيات المكتبات في تلك الفترة .

ومعنى عناية المكتبة بالتيارات والتطورات الاجتماعية وأثرها في القراءة ليس شيئا آخر غير واجب من واجبات

المسكينة الديمقراطية، التي تسعى الى تعرف الميول السائدة ومحاولة تحقيق ما تصبو اليه دون أن تلمس ما يجب أن تؤديه لترفع مستوى الثقافة والدوق.

وتبدو هذه المشكلة بوضوح في المجتمع الضيق في البلدة الصغيرة أو القرية، حيث تكون الروابط قوية بين الافراد، كما هي وثيقة بينهم وبين مؤسساتهم الشعبية كالمسكينة. وذلك لطبيعة حياتهم الاجتماعية، ولما تتوفر وقت الفراغ وهدوء البال وتفتح النفوس للقراءة من اثر في توثيق هذه الصلات، فتعنى ~~المسكينة~~ الشعبية في مثل هذه المجتمعات الضيقة خاصة بالمطالاب والرغبات الاجتماعية والتوفيق بينها وبين ما يجب ان يبقى ويرقى بالفكر والحياة الثقافية والاجتماعية.

وهي تحاول ان تقف على مطالب القراء سواء بدراسة الحالات الاجتماعية والاقتصادية والدينية والمهن والتقاليد السائدة والمؤسسات القائمة لخدمة الجماعة وغيرها، أو بدراسة الحالات الشخصية للقراء في المسكينة بواسطة مرشد القراءة وغيره. وتصبو مع ذلك الى الارتفاع بمستواهم، ولذلك فهي تختار الكتب الملائمة تبعاً لمستوى معين وتبعاً لمقاييس معينة، وذلك يستلزم الاطلاع بأنواع الكتب وطريقة قراءتها ومقاييس نقدها والمراجع التي يرجع اليها لمعرفة قيمة الكتب ووسائل النقد وعيونه وأساليبه وخبرة بالطباعة والنشر.

والى جانب هذا كله فان اختيار الكتب يستلزم الاطلاع

بالسكتب العظيمة الرائعة والفهارس والمراجع فى كل باب من أبواب المعرفة .

وهذا هو ما سوف نعرض له فى فصلى : —

١ — السكتب فى الميزان .

٢ — جولة حول المعرفة .

أما عن مشكلة اختيار السكتب فى المكتبات الخاصة فهى أقل تعقيداً وصعوبة منها فى المكتبة الشعبية العامة التى تخدم طوائف متعددة وامزجة متباينة ، فى حين ان مكتبة خاصة فى كلية او مدرسة او جمعية تخدم طائفة متجانسة وتعنى بمستوى ومواضيع معينة حين تختار كتبها . ومهما يكن الأمر فإن الفصلين الذين سأتناول فيهما هذا الموضوع لهما أهمية ، خاصة لكل من يعنى بالسكتب والمكتبات فى أى مجال وفى أى مستوى . وانى لمعالج هذه الموضوعات علاجاً سريعاً ، مشيراً الى المراجع لمن يريد التوسع .

الكتب في الميزان

ألوان من الكتب

إن تقسيم المعرفة، منذ القدم، باب معروف في الفلسفة القديمة والوسيلة والحديثة، وإذا كانت أنظمة المكتبة الأولى في تبويب العلوم والمعارف قد تأثرت بتقسيم يكون الفلسفي، فإن الأنظمة الحديثة للتقسيم لا تتأثر كثيراً بمنطق الفلسفة في هذه التقسيمات، لأنها تبويب المعرفة لغرض عملي، هو ترتيب الكتب في أما كتبها على أسهل نحو للاهتمام إليها.

على أننا في عرضنا لألوان من الكتب لا نغني بتبويب المكتبات وأنظمتها وإنما نسوق الحديث لبيان اتفاق كل لون منها وملامحات الإنسان وميوله. فبعضها يغذي العقل، وبعضها تستسيغه المشاعر والعواطف، وثمة طائفة ثالثة من الكتب تعنى بالذاكرة مثل التاريخ، وضرب رابع منها يتخذ الخيال مسرحه مثل الشعر والقصص. وقد سبق ذكر تقسيم المكتبة للكتب التي منها ما هو جدي موضوعي وما هو خيالي، والأولى تخاطب العقول والثانية تخاطب الخيال والمشاعر بوجه عام. وثمة تقسيم آخر يجعل بعض الكتب أداتها الإلهام مثل

أغلب كتب الدين والشعر والأدب والقصاص الرائع ، وبعضها الآخر متعلق بذكر الحقائق مثل التراجم والتاريخ والرحلات والكتب العلمية الخالصة والفنون العملية والعلوم الاجتماعية ، وبعض ثالث غايته الترفيه وانفاق الفراغ مثل المقالات والكتب المبسطة في الموضوعات الطليقة .

على أنه من المسلم به أن الكتب العظيمة لا تقف عند حدود هذه التقسيمات المملقة ، بل كثيراً ما تتعداها فتكون مصدر تعريف بالحقائق ، ومصدر إلهام ، ووسيلة لانفاق أمتع أوقات الفراغ . فمراحل شاكسبير وقصص ديكينز هي لانفاق وقت الفراغ ، ومع ذلك فهي ملهمة . وقصة أحدهم نوتردام لوهو جو تجمع الى كونها مسلية شيقة انها مصدر إلهام ومصدر تعريف بالعصر الذي كتبت عنه . وكتاب مثل أصل الانواع لدارون ، كتاب حقائق ونظريات ومع ذلك فهو كتاب شائق موح معاً .

ولكن ما هو الكتاب العظيم ؟ (١)
أهو هذا الضرب من الكتب التي ينصح الجميع بقراءتها ومع ذلك لا يقرؤها أحد كما يقول مارك توين ؟
لعل الكتب العظيمة لفظ يطلق على تلك الكتب التي

اتخذت مكانها في عقول الناس وثبتت قيمتها فصارت على
الايام أكثر للكتب ذيوها بينهم ، يجدون في طلبها فكأنها
كتب معاصرة حديثة في كل عصر وكل جيل .

ثم إن مثل هذه الكتب سائغة للجميع ، وخاصة الناس
وعامتهم يرضون عنها ويجدون فيها غذاء روحياً خصباً ، أو
يجدون فيها بعض نفوسهم لأنهم تصور هذه النفوس ، وتصور
ميولها ونزعاتها فتخاطب الجميع وإن وضعت لنصف عصر
بعينه أو أشخاصاً بالذات .

* * *

وإذا كان الناس يحفلون بالجدى من الكتب التي تنمى
معارفهم فهل يجدد بالمكتبة أن تهتم وتحفل بالقصص الى هذا
الحد البعيد الذي نذهب اليه مع أننا في عصر الواقع والحقائق
والعلوم التي تقوم عليها ، والفنون العملية التي تتخذ نتائج البحث
في العلوم البحتة لتدعم الحضارة وتقيم العمران ؟

إن وظيفة القصص كوظائف الفن في الحياة (١) فهي
تصف الحياة ، وتكرر حدودها كيما يسعد المرء بالاستمتاع بما فيها
من أخيلة غنية مشرقة ، وكما يخفف من شقائه بما يلبس من
شقاء الآخرين ، فهي أداة تطهير من الآلام ، كما هي وسيلة للسعادة

1 - Charles Lalo: Notions d'esthétique: relations de
l'art et la vie.

وهي أيضا وسيلة خيالية للنعويض عما نشعر به من نقص وعما نحسه من حرمان .

فالقصة عالم خصب يرفعنا الى عوالم أخرى لشرف على الحياة أقوىاء ، وذلك على يد المربي البصير . والواجب ألا نغنى بها كوسيلة لانفاق الفراغ فحسب ، بل كعامل للتربية الصالحة السوية ، فاذا ما ترك القراء وشأنهم فقد تؤدي الى مثل الشرور التي نجمت عن اذاعة كتاب (فتر) حين نشره جوت ، فكلنا نعلم أن ازمة نفسية اعترت الشبيبة الاوروبية وانتهت بالكثيرين منهم الى الانتحار أثر نشر ذلك الكتاب . واذا ما ترك الناس يقرأون القصص فقد ينتج عنها انحلال مرضى شبيه ببعض ذلك الذي أصاب شبيبة فرنسا في بعض عصور الأدب المنحل . واذا ما ترك الناس يقرأون بلا مرشد ، فان هذه الوسيلة قد تكون من أشد الوسائل فتكا بما تشيعه من تعلق بالاوهام ، والتماس البطالة ، وانحلال الخلق ، والتحرر من التقاليد الصالحة ، وقد أصبحنا في عصر لا يحتمل اضاءة الوقت والجهود في مثل هذا اللهو والعبث .

ومع ذلك كله ، فما الى هذا قصدت ، حينما أردت أن أبين علة عناية المكتبة الحديثة بالقصة ، وإنما كنت أرمي الى أننا ان نتعلم كيف نقرأ اذا لم نقرأ القصص ! (١) لائنا ان قصرنا

القراءة على المكتب المدرسية ، فسوف تورثنا البطء حينما لا يجب ، ومعظم العوائق التي تعوقنا عن الاقبال على المكتبة ترجع الى أننا تعلمنا من المكتب المدرسية كيف نقرأ ، فلم نجد القراءة سائغة شيقة كما نجد ذلك في القصص ، واننا لم نستطع ان نقرأ فيها بتلك السرعة التي نكتسبها بقراءة القصص .

هل القراءة فن ؟

كينا نختار كتاباً يجب أن ننقده ، وهذا لا يتأتى الا بأن نعرف كيف نقرأه .

وكثير من الناس يسمعون عن القراءة والقراء الممتازين فيرون أنهم أمام أصحاب ملكات خارقة للعادة فهل هذا صحيح ؟
يحدثنا القراء الممتازون أنهم لا يلقون أية صعوبة في مطالعتهم ، ما دامت تتفق مع ميولهم . والواقع أنهم ينسون الايام الاولى التي بدأوا يتعلمون فيها هذه العملية الذهنية التي نجدها عملية عقلية معقدة من الناحية السيكلوجية ، اذا ما أردنا تحليلها .

وتختلف القراءة سرعة وبطء ، سطحية وعمقاً ، وسهولة وصعوبة ، حسب عوامل متعددة ، منها درجة التعلم بوجه عام ، ومدى التخصص والالمام ، ومدى الميل الى الموضوع الذي يعالجه كل كتاب ، كما تختلف حسب الغرض والغاية المنشودة من القراءة . فمن يقرأ للتسلية خير من يقرأ للدرس والنقد وهكذا .

وقد حلل أدلر في كتابه السابق الذكر (كيف نقرأ كتاباً) عملية القراءة الى مراحل ثلاث وان كانت متداخلة بحيث يصعب أن يميزها من تعود القراءة وسهلت عليه .

والمرحلة الاولى من هذه المراحل تحليلية نعرف فيها الكتاب ككل . ثم نسير من هذا الكل الى أجزائه وفي هذه المرحلة نقف على نوع الكتاب ، وموضوعه على التحديد ، والغرض الذي يرمى اليه الكاتب ، والاجزاء التي ينقسم اليها الكتاب ، والمشاكل الاصلية التي يحاول حلها . ومعنى هذا أننا نعرف الكتاب وموضوعه وفصوله الرئيسية ككل ثم ننتهي الى الاجزاء .

فاما المرحلة الثانية فهي مرحلة تسكاملية او تأليفية . فهي عكس الاولى التي بدأت بالكل وانتهت بالأجزاء . وفي هذه المرحلة يقف القارئ على اجزاء ادق واكثر تفصيلاً من الكتاب . فهو يعني بالكلمات الهامة ، والجمل المعبرة والفقرات التي تتركز فيها أغراض الكتاب وغاياته واسلوبه وشخصية الكاتب ومنهج علاجه للموضوع . وهو يفعل كل ذلك بالتفصيل ليرد هذه الأجزاء الدقيقة الى الكتاب ويربط الجزئيات بالكليات فاذا كانت المرحلة الاولى تقف عند تحديد المشكلة التي عرض لها الكتاب فان المرحلة الثانية تنتهي بالوقوف على ما بذل من جهد وما أعمل من فكر ، ومدى ما أصاب من توفيق ونجاح في حل المشكلة بعد التنفيذ الى اعماقها .

فاما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الحكم والوزن والتقدير ،

أى هي مرحلة النقد الذى لا يجب ان يقف عند حدود الكتاب، وإنما هو يقارنه بغيره من الكتب التى كتبت فى الموضوع وفى مثل المستوى الذى كتب فيه الكتاب. ولذلك فالنقاد يحتاج الى دراسة سابقة وخبرة بالموضوع كما هو معلوم فى النقد.

وقد لاحظ أدلر فى التجارب التى أجراها على القراء ان تعلم القراءة يسير فى تقدم مطرد سريع بحيث تكون النتائج مبشرة بالنجاح الكامل فى أول الأمر، ثم لا تلبث هذه السرعة ان يعقبها هبوط يؤدى الى اليأس فى بعض الاحيان. والواقع ان عملية تعلم معقدة مثل القراءة، او حتى عملية معقدة تغلب عليها الآلية كتعلم الكتابة على الآلة الكاتبة من شأنها ان تسير على هذا النحو، فيجب ان نذكر ان التراجع هو جزء من السير الطبيعى لا كتنساب هذه العادة المعقدة التى تبدو سهلة عند من اعتادوها. وفى كتاب «هيدلى»، السابق الذكر، فى نفس الصفحات التى سبقت الإشارة اليها، نجد تحليلاً آخر للعوامل التى تعوق عملية القراءة مثل وضع الجسم وحركته، وحركة الاعضاء الصوتية التى تعمل، ولو كنا نقرأ بلا صوت، كما تعوق حركة العين التى تريد ان تفحص كل كلمة على حدة بينما الواجب ان تقتصد فى حركاتها وان ترى الكلمات فى مجموعات ولا تراها متفرقة. ومن العوائق التى أشار اليها (هيدلى) كذلك مدة الفهم. فمن تعود القراءة يتعرف على الكلمة بمجرد رؤيتها فى مجموعات، وكذلك يعوق عدم إدراك المرء رسم الكلمات. فالخبير بالمطالعة يميز رسم

الكلمات الكثيرة الاستخدام في لحظة خاطفة كما يدرك أهمية الكلمات ذات الدلالة والتعبير النفاذ عن الموضوع في لحظة كذلك .

ألا ترى معي ان القراءة فن معقد يسهل إذا عرفنا كيف نتعلمه ؟ .. ومع ذلك لن ننتظر الكتب التي تعلمنا إياه وإنما لنبدأ في قراءة ما يحاو لنا في سرعة خاطفة لنعتاد السرعة .. لنقرأ القصص فهي خير ما يبدأ به المرء في هذا المضمار ... وحبذا لو كنا نتعامل مع مكتبة تفهم وتقدر وتستطيع القيام بواجباتها لترشدنا في هذه الآفاق الشاسعة .

ميزان الكتب ونقدها ؟

هل من جديد في النقد الذي نعرفه ؟ وهل هناك محك معين تقاس عليه الكتب التي تعرض علينا او التي تكتب عنها الصحف الخاصة والعامة ؟

نحن نعرف النقد الأدبي الذي ينصب على الأدب بشعره ونثره مع اختلاف المدارس الكلاسيكية، والحديثة، وهي التي تعني بتحليل عناصر الأدب وبيان ما فيها من جمال وفن. كما نعرف مدى اختلاف النقاد ومدى التباين في نظرياتهم من حيث عناية البعض بالأسلوب او الصور الفنية او الفكرة. ونعرف ايضاً اهتمام بعضهم بعناصر الابداع والخلق، وورد الفن الى اصوله الجمالية وملاساته النفسية، وهذه المدارس مثل ما نجد في الأدب العربي والأوربي

مثل مذاهب سانت بيغ، ولينتر، وماتيو أرنولد، وريتشاردز، وأبركرومبي، وغيرهم. ولا شأن لنا بهم لأننا لا نقصر نقدنا على الأدب وحده. ولا نعمم أحكامنا على القديم والحديث، وإنما نقصرها على الحديث الجديد من الكتب. ولا شأن لنا بالنقد الأدبي مرة أخرى لأننا بصدد حيز محدود من النقد فليس علينا - ونحن نختار كتباً للكتابة - أن نقرأ مجلدات في نقد كتاب واحد، لأنه فضلاً عن استحالة هذا الأمر في الكتب الجديدة، فإن وقت عملنا محدود، وعلينا أن نختار كل عام للكتابة آلافاً من الكتب. فالنقد الذي نعنيه هو ما يطلق عليه Review وهو يتعلق بالكتب الجديدة وحدها على نحو ما يظهر في الصحف السيارة والمجلات العامة والخاصة. وهو نقد سريع يظهر خصائص الكتاب ويميزاته التي يتفوق بها على غيره والمستوى الذي يعالج به المؤلف موضوعه. وإذا كنا نجد ذلك اللون من النقد قاصراً عندنا محدوداً، في صحفنا، فالتناجده في الغرب شاملاً متعدد الجوانب واسع المدى. وحسبنا أن نعلم أن الصحف الكبرى في الولايات المتحدة مثل نيويورك تيمس، ونيويورك هيرالد تريبون، وشيكاغو صن، وغيرها، تصدر ملاحق أسبوعية يوم الاحد، تخصص لنقد الكتب الجديدة. وكذلك الحال في الصحف الأوروبية الكبرى، مثل جريدة التيمس بلندن. والملاحظ في مثل هذه الملاحق الصحفية أنها تبلغ أحياناً خمسين صفحة ولا تقل عن ثلاثين وهي عادة في حجم يعادل نصف حجم صحيفة

الجريدة العادية أو أقل قليلا . ومع ان هذه الملاحق عامة إلا
 انها ذات فائدة بالغة عميقة في التنبيه الى الجديد من الكتب،
 على انها لا تسجل كل الكتب الجديدة كما تفعل مثلا
 Book Review Digest وهي التي تشير الى مميزات كل الكتب
 الجديدة في جمل قليلة واضحة ، على ان التوسع في مثل هذا للنقد
 حين يحتاج اليه في الموضوعات الخاصة ، يرجع اليه في المجلات
 الخاصة بذلك، والتي تعنى بتسجيل التطورات الفكرية في باب
 اختصاصها مثل المجلة الآتية، التي تعنى بالادب والفنون الادبية
 Saturday Review of Literature التي تصدر بنيويورك، او مثل
 ما تفعل على نطاق أضيق مجلتي Science Nature في النواحي العلمية.
 ويلاحظ ان هذه المجلات التي تعنى بالنقد غير الفهارس الدورية
 التي تقتصر على مجرد تسجيل الكتب او تسجيل محتوياتها والتي
 سأشير اليها فيما بعد .

والمشتغل بالمكتبة ، والمهتم بالكتب الجديدة ، يجب أن يلم
 بالنقد وأساليبه ومقاييسه التي سنعرض لها، كيما يختار الكتاب
 على أساس صحيح ، دون ان يخدع بالنقد المزيف ، المتأثر
 بالاعلانات أو بعوامل أخرى غير قيمة الكتاب نفسه ، مثل
 التأثر بمكانة الصحيفة أو مكان دار النشر أو مكانة المؤلف وشهرته
 وصلته بالناقد . وقد لا يفتن من يختار الكتاب الى قصور
 النقد ، أو تعصبه أو التعجل في كتابته .

ويجب أن يلم خبير المكتبة بمقاييس النقد، لأنه من واجبه

هو أن يكتب نقداً موجزاً عن بعض الكتب للمكتبة ، وذلك حين تعد نشرات من هذا القبيل عن الكتب الممتازة ، أو حين تنشر أو تذيع على الناس نبذات عن هذه الكتب ترغيباً وتحفيزاً في الاقبال عليها .

فأما النقد الموجز annotation الذى يماثل هذا الذى تحتاجه المكتبة فى الغالب فهو مقتضب بالغ الايجاز لا يتمدى خمسين أو ستين كلمة على الأكثر ، فى حين أن النقد الصحفى قد يشمل صفحتين أو ثلاث من تلك الصحف الضخمة . وإن كانت العناصر فى كل من النقيدين متشابهة أو واحدة لا تختلف إلا فى الحجم والعرض .

والموجز من النقد عبارة عن عرض سريع مقتضب لبيان موضوع الكتاب وخصائصه ، والاشارة إلى روحه وأسلوبه ، ومداه وقيمه . فما اشبهه ، فى اقتضائه المعبر ، بالصور الكاريكاتورية التى ليست غير خطوط سريعة تلخص خصائص الشخصيات . ولذلك فكثيراً ما تستخدم بعض ألفاظ المؤلف المعبرة ، أو جملة من جملة القوية الدلالة على موضوعه ، إلى جانب إشارات الناقد عن الكتاب .

وإذا كان هذا النقد يكتب تحت البيانات الرئيسية عن الكتاب ، كاسم المؤلف ، وعنوان الكتاب ، ونشره ، ومكان النشر ، وعدد الصور والرسوم ، والحجم ، وعدد الصفحات ، فليس ثمة ما يدعو إلى تكرار هذه المعلومات فى

صلب النقد نفسه، اللهم إلا إذا كان جزءاً من هذه البيانات الرئيسية غير واضح. ومثل ذلك أننا لو فرضنا أننا بصدد نقد كتاب (تاريخ إنجلترا) لما كولى (١) ، فيجب أن نبين في صلب النقد أن هذا الكتاب إنما يقتصر على دراسة سبعة عشر عاماً من تاريخ إنجلترا فحسب. ولو لم نفعل ذلك استناداً على عنوان الكتاب، المذكور في صدر البطاقة، لكان تقصيراً ونقصاً.

وليس معنى الاقتضاب في النقد الموجز أن يكون باهتا شاحباً لا طعم له، كأن يكون عاماً من الممكن أن يطلق على آلاف الكتب. وذلك مثل قول الناقد « إن قراءة هذا الكتاب، إنما هو مشاركة في أبرع مخاطر التاريخ كلها »

وإنما يكون النقد معبراً ملخصاً قوياً نفاذاً مثل النقد التالى لرواية (الفلاحين) (٢) لريمونت، وهى إحدى الروايات التى نالت جائزة نوبل (مجال حسن لتصوير حياة الريف البولونى، هائلة فى تفاصيل دقيقة لوصف جمال مشاهد الطبيعة فى فصول السنة، وعقدة القصة تتركز فى الاحساس القوى بحب الارض وتنافس الابن وأبيه فى الهيام بامرأة واحدة، غير أن الاهتمام بتصوير أفراح الريفين وولائمهم لا تقل عن الاهتمام بوصف حب الأرض، تلك هى الملحمة ذات الأربعة مجلدات التى نالت جائزة نوبل).

ولكن ما هي معايير النقد التي أطلنا الحديث عنها ؟
لكل من الكتب الجدية من ناحية ، والقصص من ناحية
أخرى ، مقاييس مختلفة يحاولون حصرها (١) .
فأما الكتب الجادة الموضوعية التي تشمل العلوم والفنون
والدراسات الأدبية والتاريخ والعلوم الاجتماعية وكل ما هو
يصدد دراسة موضوعية فإنها تقدر من حيث : مادتها ، ومدى الثقة
في المؤلف ، ومميزات الكتاب الموضوعية ، ومميزاته الشكلية .
ومن حيث مادته فنحن ندرسه لنلتمس الاجابة على
الأسئلة الآتية :

ما هو موضوع الكتاب ؟ وما هو مدى اتساع نطاق البحث
فنعرف ما إذا كان يدرس الموضوع جميعه أو هو يعرض لنقطة
معينة أو لجزء منه ؟ وهل يعرض الكتاب نظرية معينة أو يقترح
علاجاً عملياً للمشكلة أو هو يقتصر على الحقائق ويسوق
الحجج الجدلية ؟ وهل يعرض للموضوع في إقتضاب أو هو
يتوسع فيه ؟ وهل يعالجه في ثوان أو يتجهز لنظريات معينة فيه
ويقتصر عليها مجافياً روح الاعتدال ؟ وهل يعالج الكتاب
الموضوع علاجاً واقعياً أو يعرض له نظرياً تجريبياً ؟ أهو كتاب
فني خالص لا يصلح إلا للمختص ، أم هو شعبي عام ؟ أم هو بين
بين ؟ وإلى أي قارئ يمكن أن يساق ؟ للتلاميذ أو
للمعلمين ، أو للقارئ العادي أو للمختصين ؟ وما هو تاريخ نشر

الكتاب حتى تستوثق من قيمته اذا كان يعالج ناحية علمية
من الضروري أن تكون متتبعة للحدوث الجديد من البحوث؟
أما مدى الثقة في المؤلف فتتوقف معرفتها على بحث :

مؤهلات المؤلف وتعليمه ومرانه وثقافته ؟ وهل رجع الى
المصادر الأصلية لبحثه أو رجع الى مصادر ثانوية ؟ وهل يقوم
موضوعه على البحث العلمى الخالص أو على ملاحظاته
الشخصية ؟ وهل هو دقيق فى بحثه ؟ وهل يلم بالعصر الذى
يكاتب عنه، أو بالنظريات التى يعالجها ؟ واخيراً نبحث هل هو
متعصب أو مترمّم ، أو هو تقليدى محافظ ؟

وأما مميزات الكتاب الموضوعية فنحن نبحثها لنجد جواباً عن :
هل يبين عن قدرة مبدعة وملكة خالقة ؟ وهل هو يتميز
بالإخلاص والصراحة ؟ وهل ترتيب الموضوع مناصب
للفكرة ؟ وهل للمؤلف إصالة فى تعبيره ؟ وهل أسلوبه سهل
واضح، أو هو جذاب شائق، أو عميق، أو خيالى ؟ وهل الكتاب
الذى نحن بصددّه قادر على البقاء ؟

وأما مميزات الكتاب الشكلية فيظهرنا عليها بحث ما يأتى :

هل للكتاب معجم خاص بالأعلام والموضوعات بالدقة
والتفصيل ؟ وهل يحتوى على رسوم أو بيانات أو صور لازمة
للتوضيح ؟ وهل شكل الكتاب متميز وورقه صالح ؟

وللقصص معايير في نقدها بحيث ينطبق عليها الكثير مما قلناه عن الكتب التي ليست خيالية وليست قصصاً مضافاً إليه التماس الاجابة على طائفة من الاسئلة التي يمكن التوسع في بحثها في غير هذا المكان (١) ولباب هذه المقاييس يتلخص في الاجابة على :

هل تتميز القصة في نوعها من حيث هي تمثل لونا واضحا من الواقعية أو الرومانتيكية أو هي تنحو منحى نفسيا أو هي قصة مرحلة ؟

وهل هي مطابقة للواقع أو هي مبالغ في الناحية العاطفية أو هي منحرفة أو شاذة ؟

وهل هي متماسكة الشخصيات من ناحية تصويرها (٢) لهم ؟ أو هل تعنى بدراسة نفسيات الأبطال وتحليلهم كما هو الحال في روايات مارسيل بروست واندريه جيد وشارل موراس واندريه مورو الى حد ما ؟ وهل العناية بدراسة للنفسية تدعو

Helen Haines : What is a Novel.

: ١

٢ : للتمثيل لذلك راجع (نماذج بشرية) و (في الميزان الجديد) للدكتور محمد مندور وخاصة في نقده لقصة نداء المجهول لتييموربك.

الى تطبيق النظريات العلمية بدقة ملفقة لا تتفق مع الابداع
الفنى كما هو الحال فى قصص بول بورجيه ؟ وهل تكشف من
وراء شخصياتها عن معان انسانية عميقة أو صادقة أو موحية
بالمشاركة الوجدانية ؟

وهل عقدة القصة أصيلة الحكمة أم هى سهلة مختلفة
و محتملة ؟

وهل تثير فى النفس افكاراً واحساساً عميقاً بالحياة، او هى
لمجرد اتفاق الفراغ ؟

هل هى من هذا الضرب الذى يبدو تافهاً، لانه يعالج توافه
الحياة، ومع ذلك يوحى من وراء بساطته بمشاعر زاخرة
وافكار عميقة ؟

معرفة الكتب الجديدة

كيف السبيل إلى معرفة كل كتاب ظهر والوقوف على كل
جديد فى عالم الكتب والمطبوعات ؟

لم يتح لنا بعد فى الشرق العربى ان نجد فهراس دورية تسجل
جميع ما نشر سواء فى موضوع خاص، أو جميع ما نشر على نحو
عام شامل ، وهذا نقص لا يمكن اغفاله والسكرت عليه .

وإذا كانت بعض الصحف اليومية أو المجلات الاسبوعية
أو الشهرية عندنا تعنى بنقد الكتب الجديدة ، فإنها إنما تفعل
ذلك لا على سبيل الاحصاء ، بل هى تقتصر فى الغالب على

الكتب التي تهدي اليها ، او التي مؤلفيها بالنقد صلات ، أولهم شهرة وصيت . وكثيراً ما تغفل الصحف الاشارة الى الكثير مما يصل اليها . وكيفما كان الأمر فإن هذا النوع من النقد ليس شاملاً كافياً . فهو لم يقصد به أن يكون سجلاً للنقد وقفاً عليه ، حتى يمكن الرجوع اليه في المكتبات حيث يعنى الباحثون والمؤلفون ومن اليهم بالاهتمام إلى مراجع فيما يحتاجون الى بحثه والاطلاع عليه . وقد قامت إدارة التسجيل بوزارة المعارف بعمل سجل للكتب التي صدرت خلال عامي ٤٧، ٤٨ في سجلها الثقافي .

وكذلك استبانته الهيئة الثقافية لجامعة الأمم العربية أهمية وجود فهرس دورية تسجيل الكتب الجديدة في العالم العربي فأزمنت اصدار شبه مجلة من هذا القبيل كما أذاعت ذلك ضمن اغراضها الثقافية لتحقيق التعاون الثقافي بين البلاد العربية .

ونجد في الغرب الفهارس التي من هذا القبيل متعددة متباينة ، منها ما هو عبارة عن قوائم الكتب المختارة في فترة معينة مثل (فهرس اتحاد المكتبات الامريكى للمكتبات الشعبية) الذي صدر عام ١٩٠٤ ثم صدر ١٩١٢ حتى نشر عام ١٩٣٣ فهرس في نفس المستوى ، ولكنه يزيد على سابقه انه يعرض للنقد وعرض موجز لكل كتاب .

ومثل هذه القوائم قائمة « شو » عن كتب الكليات والجامعات التي نشرها اتحاد المكتبات الامريكى عام ١٩٣١ . وكذلك قائمة كتب المدارس الثانوية التي اعدتها (زايدى براون)

ونشرها ويلسون ، الناشر الذائع الصيت للفهارس والمراجع ،
عام ١٩٣٢ .

ومثل هذه القوائم مختارة . فهي ليست شاملة ، بل لطائفة
محدودة والمستوى معين من القراء ، وانها تقف عند تاريخ بالذات ،
لأنها تختار الكتب في فترة معينة . واذا كانت اهميتها حين
ظهرت لا يمكن انكارها ، فانها اليوم تستطيع أن ترشدنا في مجال
البحث عن كتاب صدر في الفترة التي تبحث فيها كل قائمة ،
بحيث يكون هذا الكتاب في المستوى الذي تختص به كل منها .
والى جانب هذه القوائم توجد دوريات أو مجلات تختص
اما بمجرد تسجيل الجديد الذي ظهر ، او قد تضيف الى كل كتاب
كلمة عن محتوياته ، وقد تصدر اسبوعيا مثل « نشرة الناشرين
الاسبوعية » .

1-Publisher's Weekly, Bowker Comp., N. Y.

وتتضمن الكتب الجديدة مع عرض موجز لها ، وتضم بعد
ذلك عند الناشر ليصدر منها فهرس الناشرين السنوى .
وتصدر المجلة الآتية في فترة أطول .

Book Review Digest, Wilson, N. Y.

وهي تعرض لنقد الكتب كذلك . وتجمع منها لدى
الناشر مجلدات بحيث تكون مرجعا لكل كتاب صدر في
السنين الماضية ، الى جانب فائدة النشرة في الابانة عن الكتب

الحديثة التي صدرت في الفترة التي ظهرت فيها . ومعنى ذلك ان مثل هذه الدورية إذ تجمّع بمجلداتها تعد مرجعا من أهم المراجع عن تسجيل الكتب ونقدها في الأعوام السابقة . كما ان النشرات الحديثة تفيد في اختيار الكتب الوشيكة النشر الحديثة الصدور .

ومن هذه الدوريات

Cumulative Book Index, Wilson, N. Y.

وهو فهرس دورى يصدر كل شهر ، وكل ثلاثة أشهر ، وكل ستة ، وكل سنة ، وتباع منه مجلدات عن عدة أعوام سابقة تصلح كمرجع يسجل الكتب التي صدرت عن هذه الأعوام . وهذا الفهرس نافع في الافادة عن اسماء الكتب ومؤلفيها وموضوعاتها ويقتصر على تسجيلها دون نقدها ، ويعتبر من عيون المراجع وأشملها عن الكتب التي صدرت بالانكليزية في أمريكا وانجلترا وغيرها .

وتوجد هناك دوريات وفهارس من الموضوعات الخاصة ، كالطب والهندسة والأدب وما الى ذلك ، وليس هنا مجال الإشارة إليها ، لاننا نعالج فصولا عامة عن اهمية المكتبة ، لا للمختصين المتوفرين على البحث الخاص .

وتوجد مثل هذه الدوريات في جميع البلاد الأوروبية ، وما ذكرنا غير أمثلة لتوضيح أهميتها ومدى حاجتنا الى العناية بها .

الخبرة بالنشر والطباعة :

مازلنا نحبو في ميدان النشر ، وقيمة النشر ووظيفته ليست بالآمر الهين. فالناشر — على حد تعبير (جون مورلي) في كتابه « ذكريات » — ما هو غير السلطان المسيطر على دولة الأدب ، وهو لا يقل بحال عن رجل الدولة .

ولست بحاجة الى القول بأن النشر مساير في تطوره للتطور الثقافي والاجتماعي ، وعلى كل من يريد ان يدرس الأدب الحديث وتاريخه ان يعنى بتطور النشر .

وقد تطورت هذه الصناعة في الغرب فوصلت الى أرق درجاتها وأوسع سلطاتها بحيث صار لها ولأصحابها من الواجهة الاجتماعية ما استطاع معه (جون هاربر) صاحب دار النشر الأمريكية ، الذائعة الصيت المعروفة باسمه ، ان يصير عمدة لمدينة نيويورك . وهذا يعطينا مثلاً واضحاً على مدى صدق قول مورلي عن سلطة النشر وسلطانه .

وإذا كنا في المكتبة نعنى بالكتب وهى ثمرة من ثمرات النشر كما هى من ثمرات العقل والفكر ، فيجب ان نلمح إلماً بماهية هذه الصناعة ، ونشاطها وسياستها وأشهر دورها — ومؤسساتها — ، والخطة المتبعة فى الدعاية والاعلان ، والبيع وحقوق الناشر ، وحقوق المؤلف ، واختصاص كل ناشر ، والنواحي ، التى يعتمد عليها فيها ، فبعضهم يعنى بالكتب العلمية

البحث ، وفريق يعنى بالفنون العملية ، وثالث يعنى بالقصص وما إليها . بل نجد من هذا الفريق الأخير من يعنى بالقصص الرائع القديم ، ومن يعنى بالقصص البوليسى ، ومن يعنى بالطبعات الرخيصة من عيون القصص وما إلى ذلك .

كما ان بعض الجامعات تعنى بنشر كتب خاصة ، مثل جامعة شيكاغو واهتمامها باذاعة كتب فى الثقافة المكتبية ، إلى جانب عنايتها بألوان أخرى من العلوم ، وكذلك جامعة كولومبيا . وهناك هيئات خاصة تنشر ما يتعلق بنواحي اهتمامها ، واختصاصها ، مثل اتحاد المكتبات الأمريكى ، الذى ينشر معظم ما يصدر من الكتب عن الدراسات المكتبية فى أمريكا . وهناك الأندية الخاصة مثل نادى كتاب الشهر الذى يوزع كتباً خاصة للمشاركين بالاتفاق مع بعض الناشرين الآخرين بأمريكا .

وهناك المنشورات الحكومية المختلفة التى تصدر عن دواوين الحكومة ومصالحها ومعاملها المتباينة . وهذه منها ما يباع وما لا يباع . وتحتاج إلى تخصص لدراساتها ، وخاصة فى بلد تتعقد فيه وتشعب وتباين هذه المطبوعات مثل أمريكا ، ولتحقق ما أذهب إليه ، يمكن قراءة كتاب « المنشورات الحكومية » لبويد .

ويمكن لمعرفة اختصاص الناشرين قراءة فهرس « السوق الأدبية » وهو كتاب سنوى تصدره دار « باوكر » للنشر

بنيويورك، كما يمكن الرجوع إلى كتاب هاربر عن صناعة النشر،
وكتاب ميريك (أوليات فن اختيار الكتاب).

* * *

ومما يرتبط بهذه الصناعة الامام بحقوق التأليف (١)
وما له من تاريخ وثيق بتطور السياسة ونظم الحكم وطابع
الحضارة . ففي القرون الوسطى كان من المحذور نشر ما هو
مخالف للدين . ثم استبد بعض الحكام فصارت هذه الرقابة
السلاح الذي يقضون به على ما لا يتفق نشره مع ميولهم
وسلطانهم ، واتجه الخطر إلى ما يرمى إلى إثارة الرغبات الجنسية،
وما لا يتفق مع الحد المرعى من الآداب . ولا زالت الدول
متأثرة بالتقاليد الجارية ، والآداب العامة في كل ما تبيح نشره
بين الناس .

ويقال أن أول من نادى بحقوق التأليف هو مارتن لوثر،
لا لرغبة في الكسب المادى ، وإنما لأنه كان يخشى أن تنشر
كتبه محرقة . وبدأ الاعتراف بهذه الحقوق بأن كان يختم كل
كتاب أجيز نشره بخاتم الحاكم .

(١) دائرة معارف العلوم الاجتماعية ، الجزء الرابع

وانتظمت حقوق التأليف في إنجلترا سنة ١٩١١ بقانون يضمن حفظ حق المؤلف أثناء حياته ، وإلى خمسين سنة بعد وفاته ، ولو أن القانون يتساهل في طبع الكتاب بدون الحصول على موافقة ورثة المؤلف بعد مدة أقل مما نص عنها . ويقضى هذا القانون بإيداع نسخة من كل كتاب يطبع في الامبراطورية البريطانية في المتحف البريطاني .

وفي عام ١٨٨٧ عقدت اتفاقية (برن) بين عدد من الدول الاوربية . فلم تكن منها الصين ولا روسيا ولا الولايات المتحدة الامريكية . ويتضمن الاتفاق احترام حقوق التأليف في كل الدول الموقعة .

وأما في الولايات المتحدة ، فان حقوق التأليف لها قصة وتاريخ يتجلى فيه مدى اعتداء الناشر والطابع على حقوق المؤلف . فمنه نعلم أن الذشر كان قاصراً في بادئ الامر على الكتب الانجليزية ، حتى إذا تكونت عناصر القومية في البلد الناشئ . بدأ الاقبال على كتب المؤلفين الامريكيين ، الذين لم يكن لهم من الثقافة والقدرة ما يستطيعون معه منافسة الكتاب الانجليزى ، فما لمس الناشر ذلك ، حتى بدأ السطو على الكتب الانجليزية فطبعوها طبعات رخيصة ، تجد الرواج والذووع لرخص ثمنها ، مادام الناشر لا يدفع للمؤلف الانجليزى شيئاً اذ ليست له حقوق تبعاً للقانون الامريكى .

وكاد المؤلف الامريكى الناشئ أن يموت ، مادام الناشر والطابع ينافسه بآثار ومؤلفات المؤلف الانجليزى الناصح ، فصار كل من المؤلفين مهضوم الحق مهيض الجناح .

ثم كان تشريع عام ١٨٩١ ، وآخر عام ١٩٠٩ لحفظ حقوق التأليف ، ولكن على شرط أن يكون الكتاب المكتوب باللغة الانجليزية مصنوعا فى أمريكا . فالكتاب الانجليزى الذى لا يصنع فى أمريكا لا تحترم حقوق تأليفه ، إذ لا يكفل القانون الامريكى لمؤلفه حقوقا . ولذلك فإن الكثير من الكتب الانجليزية تصنع فى أمريكا وبريطانيا فى وقت واحد لتسجل فى واشنطن ولندن معا . ومعنى ذلك أن هناك قيودا ثقيلة لحفظ حقوق الكتاب الانجليزى الذى يطبع فى خارج أمريكا . هذه أمثلة مما يلقى خبير المكتبة من مشاكل تختلف باختلاف حقوق التأليف فى مختلف الدول .



وتاريخ تسجيل حقوق التأليف يبين مدى حداثة مادة الكتاب ، ولا يبين ذلك تاريخ الطبع ، ويجب حين نفحص كتابا يهمننا أن تكون مادته مسيرة للتطور العلمى ، أن نهتم بتاريخ تسجيله لا بتاريخ طبعه .

ويجب أن نفرق كذلك بين الطبعة المعادة للكتاب والطبعة المبينة لطبعاته السابقة ، التى يضيف إليها المؤلف مدة جديدة أو رسوما أو توضيحات ، أو أى جديد عما فى الطباعات السابقة .

وهناك الطباعات المزينة بالرسوم ، والطباعات الفاخرة ، والطباعات المختصرة ، والطباعات التي تحوى شروحا . وكثيراً ما يضطر المشتغل بالكتب أن يكون على شيء من الخبرة لتقدير هذه النواحي في الكتاب الذى يعرض له .

* * *

ويجب كذلك ، فى مجال اختيار الكتب الجديدة ، أو فحصها بوجه عام ، أن نلم بالطباعة وألوانها ، والورق وأنواعه ، وما إلى ذلك . وقد ارتقت الطباعة فى الغرب بحيث صارت وسيلة من وسائل تهذيب الذوق وإرضاء النزعات الجمالية . وذلك بما استحدثت من آلات وفن . ولم يعد يطلب فى فن الطباعة أن يقدم الكتب للعاديين من الناس وحدهم ، بل لطوائف أخرى مثل كتب ضعاف البصر والعميان الخ .

وتتلخص بميزات طباعة الكتاب المنشود فيما ذكره « ماك ميرترى » فى الكتاب الذهبى « حيث قال » دعنى أرى فى ثنايا الغد الكتاب الموعود ، على ألا يتجاوز حدود النزعة العملية ، وأن يكون سهلاً للتناول ، يسير القراءة . وأن تكون مواد صناعته جيدة ، فى غير إسراف ، وأن يكشف جمال إخراجها عن يد صناع مفتن . »

هَوْلَةُ هَوْلِ الْمَرْفَةِ

«... فقال لاهله امكثوا انى آنست ناراً ، لعلى آتاكم منها
يقبس ، أو أجد على النار هدى » قرآن كريم ،

لقد وانتقنا الأنباء أخيراً بأن لجنة من أعلام الأدب في بريطانيا قد عهد إليها باختيار نيف وعشرين كتاباً من عيون الكتب الأدبية الانجليزية القديمة، وذلك تمهيداً لعرضها على هيئة اليونسكو لتختار منها، ومن غيرها من آداب الأمم، لترجم إلى لغات غير التي وضعت بها تلك المؤلفات.

ومهما يكن الأمر، فإن قرار اللجنة أثار دهشة وجدلاً، حتى لقد سخر منه كثير من النقاد وطوائف متباينة من الشعب البريطاني. وهذا أمر طبيعي، ما دمننا بصدد كتب أدبية تقديرية، تختلف تبعاً لتباين الامزجة.

والملاحظ على الكتب العظيمة بوجه عام أنها تتضمن هذه النزعات الانسانية الجمالية، حتى ولو كانت كتباً علمية. ومعنى ذلك هو أن هذه الكتب، والأدب منها بوجه خاص، قلما يتفق الناس إتفاقاً اجماعياً عليها، وعلى قيمتها. وهكذا نجد أنه إن يجمع الكل على خير عشرة كتب، أو أفضل مئة كتاب، من الكتب العظيمة في الأدب خاصة.

* * *

وانى اذ أختار طائفة من الكتب في كل لون من ألوان المعرفة إنما أفعل على هدى من سبقنى، أعنى أنى أختار من قوائم أعدت بالفعل كما تتدارس بين المشتغلين بالمكتبات، لتكون مرشداً لهم في تقديرهم واختيارهم، وتكون كذلك دافعا لهم على تملكها في مكتباتهم ليفيدوا بها الناس.

ومعنى ما أقول من ناحية أخرى أن خير المكتبة ليس هو
بالقارىء الممتاز فحسب ، وإنما هو رجل فنى مختص ، والقراءة
إحدى مميزاته البارزة ، وفى الإمام يعيون الكتب ما يعينه ويهديه .
وليس الهام هنا هو ذكر دلائفة من أمثال الكتب الرائعة
فى كل باب من أبواب المعرفة ، كما يمكن أن يفعل ذلك كل قارىء .
ممتاز مثقف ، وإنما نحن نبغى أن نشير الى الطرق الفنية للاختيار
عن طريق الفهارس والمراجع الدورية ، وغيرها . ولعل ذلك
يكون باعثاً لبعض الهمم على الانتداب بالغرب فى هذا الفن فنحن
بعيون الكتب العربية ، قديمها وحديثها ، ونبصر بقيمتها ونفتح
العيون على أهميتها فى كل حال .

أما عن الاختيار نفسه ، فما هو غير محاولة ، أو مثال موجز فى
كل فرع ، قد لا يرضى عنه الخبير فى ذلك الفرع ، فيرمينا بالجهل .
ولسكننا لا نحاول ذلك إلا فى نطاق المكتبة الشعبية العامة ،
الجديرة بأن تجمع شتى المعارف لتجعل منها غذاء شعبياً ،
بدلاً من أن تبقى تلك المعارف قصرأ على أصحاب الأبراج
العاجية من المختصين وأفذاذ العلماء .



ولما كان على الخبير بشئون المكتبات أن يختار الكتب
ويزنها بميزانه ، فيجب أن يلزم بالوان منها وأن يقف على أشهر
الكتب فى كل باب ، وأعظم الترجمات لكل كاتب ، وكل كتاب
عظيم ، وأعيان المترجمين وخصائص كل منهم .

ولو أننا تأملنا الأدب الروسي المترجم الى الانجليزية أو الفرنسية لوجدنا أن مؤلفات تشيكوف، القصصى الروسى الذائع الصيت فى عالم القصة القصيرة، ترجمات متعددة، بعضها يتميز بالدقة وبعضها الآخر يمتاز بالسهولة فى الأسلوب واللغة. كما أن الامام بمشاهير المترجمين يوقفنا على حقائق باتت بديهية لطلاب الآداب والمشتغلين بها. فلو حدث أن التمسنا ترجمة لأعمال أدجار ألن بو بالفرنسية، أو لو وجد شخص يجيد كل من الفرنسية والانجليزية وأراد الاطلاع على مؤلفات أدجار بو، لاستطعنا ان نقدم له على الفور هذه المؤلفات بالفرنسية. لا نتأجب ان نعلم قبل هذا وذلك، ان بودلير الشاعر الفرنسى الفذ، قد ترجم مؤلفات بو الأمريكى بحيث صارت الترجمة ابداع من الأصل، وذلك لتشابه كل من بو، وبودلير، فى كثير من الميول الشاذة، واساليب الخيال، والحياة النفسية التى عاش كل منهما فى ظلالها. وهذا مثل فريدلما يتكرر، لأن العبقرية فردية بحتة. فمن النادر ان تتفق عبقرتان على هذا النحو. مثل هذه الحقائق فى الترجمة يجب ان تدرس ويلمها المشتغل بالعمل المكتبى. والخبرة بعيون الكتب تتمثل فى ألوان متعددة منها:

كتب السير

« إننى احيا للذين يحبوننى ويحسنون معرفتى،

« ج ل. بلانسكس »

ومن عيون كتب التراجم والسير وحياة الأفاضل فى التاريخ ما هو

جدير بأن نلم به في هذا الباب . ومن الضروري لمن يريد أن يختار الكتب في هذا المجال أن يقف على تطور فن كتابة التراجم ، واختلاف المدارس وتباين أساليب المعالجة تبعاً لاختلاف الشخصية المترجم لها، ونواحي تميزها، ودواعي شهرتها. ومن الكتب التي عالجت دراسة فن كتابة التراجم :

- 1-Cook, Sir Edward : Literary Recreations.
- 2- Maurois, André : Aspects of Biography
- 3-Nicolson, Harold : The Development of English Biography.

ويجب أن نقدر أهمية النواحي النفسية في دراسة عبقرية الفرد وابداعه وطبعه الموروث ، والصلة بين عمله وبين حياته النفسية .

ومن ناحية ثانية، يجب أن نلم - الى جانب العوامل الوراثية، بالنظريات الاجتماعية التي تبين التأثير المتبادل والتفاعل بين الفردية والحياة الاجتماعية في عصرها.

وثمة حقيقة يجب ألا نهملها وهي أننا بتنا في عصر ديمقراطي لا يقصر التراجم والسير على المتميزين الأعلام وحدهم، وإنما هو يلتبس السيرة الحسنة للمواطن الصالح . فالفرد العادي الممتاز هو موضوع جدير بالدراسة والتحليل ، ولعله يكون أقرب الى نفوس جمهور الناس من هؤلاء الأعلام . هكذا دخل عنصر جديد في عصرنا الحديث في موضوع التراجم ودراسة السير كما ظهر في ضروب أخرى من الأدب ، كاتجاه الأدب الروسي

والقصة الروسية التي تصور الحياة كما هي، وتصور عامة الناس وأحط الطبقات، ومثل تطور المسرحية التي لم تعد قاصرة على حياة العظماء والملوك الذين وصفهم شكسبير، وقصر عليهم مسرح حياته، وإنما صارت تصور حياة الأفراد العاديين بفضل آباء المسرح الحديث، مثل إبسن وبرناردشو ومن إليهما.

على أن ذلك لا يجب أن يغمط حق تراجم العباقرة والأبطال. فهي فضلا عما توحى به إلى النفس، وفضلا عما تكشفه لها من نواحي إنسانيتها، فهي ذات أهمية تربوية من حيث أن حياة العظماء ما هي غير جزء من عظمتهم. فما سير العلماء غير جزء من الفن كما يقول جماليل برادفورد. هذا فضلا عما توحى به السيرة نفسها إلى قلوب الناس وعقولهم مما ينحصب الحياة ويثري الشخصية.

ومن عالم التراجم الزاخر بعض من تراجم الاعلام لأنفسهم مثل «الاعترافات» لروسو، و«حياة جون ستيمورات مل» بقلبه، و«حياة ايزادور دنكن» بقلها وهذا الكتاب الأخير لون طريف في دنيا التراجم، كتيبه الرائعة العالمية عن حياتها ويعتبر عملا أدبيا رائعا.

ومن شوامخ التراجم، «تراجم أغريقية رومانية» لبلوتارك و«سيرة شارلوت برونته» لكاسكيل، و«سيرة جلادستون» لمورلي، و«جون كيتس» لسكولفن، و«بيرون» لا.

موروا ، و « الملكية فيكتوريا » لستراشلي ، و « سيرة باستور »
لرينيه فالري رادو .

وتتميز التراجم تبعاً لعوامل مختلفة ، منها شخصية المترجم
له ، ومدى سهولة العثور على وثائق وحقائق عنه .
ثم يتوقف الأمر بعد هذا على الكاتب نفسه .

ولو قارنا كتاب « نابليون » لامييل لودفيج وهو الذي ترجم
منذ فترة ليست بالبعيدة الى العربية ، بدراسة ستيفان زفيج
« لبلازاك » مثلاً ، لوجدنا أن الاختلاف في المنهج يرجع الى
شخصية وأسلوب كل من الكاتبين الذين يتحدثان من جنس
وأصل واحد ، ولكن بينما يعنى لودفيج بالتفاصيل التاريخية
ويبالغ ، نرى زفيج معنى بالناحية النفسية ، يجد المدخل الموصل إلى
بواطن الشخصية وحياتها ونزعاتها .

والخلاصة أن الترجمة أصبحت فناً ولونا مستقلاً من ألوان
الأدب وفنونه ، وصارت لها أصول وقواعد ، ولكن لا يجب
أن تقف معرفتنا عند مجرد دراسة نظرية للأصول والقواعد
بل يجب أن نلتبس في كتابات الافذاذ وأعلام الكتاب
للسير مثلاً يمكن أن يحتذى ونستخلص منه نحن الأصول
والقواعد . فلنكون لنا خبرة في هذا الباب وما يماثله من
الدراسات الأدبية النفسية والاجتماعية يجب أن نلم بعيون
الكتب والتراجم التي كتبت فعلاً ، دون أن يغض ذلك من
شأن كتب النقد والدراسات لفن كتابة السير .

في آفاق الآداب

«الآداب لا ينسخ صورة الحياة وإنما هو يحمل غاياتها ،
«أوسكار وايلد»

نعني بالآداب خصائص جمالية في الأسلوب بغض النظر عن
الموضوع، وعلى هذا النحو يمتد الآداب بخصائصه الجمالية إلى أي
أفق آخر من العلوم والتاريخ والفلسفة ، مادام المهم في الموضوع
هو الخصائص الجمالية ، ذات الطابع الانساني ، لا الموضوع
نفسه .

وقد رأينا أن كتابة السير باتت لونا يكاد ان يستقل عن
الآداب البحت . وفي الواقع أن ألوان هذا الآداب تميزت في
الغرب وأصبح لها دراسات مستفيضة بمراجعتها ودراساتها . وقد
صار هذا الآداب البحت ينقسم إلى الشعر والقصص والمقالة
والتشيلية، تبعاً للشكل والمنهج الذي يتخذه كل موضوع من هذه
الموضوعات تمييزاً له هما عدها .

ولما كانت الكتب الأدبية، بوجه عام ، ترجع في نقدها إلى
معايير تقديرية ، أي ذوقية، غير مستقرة مطمئنة إلى دعائم ثابتة
كما هو الحال في العلوم الطبيعية مثلاً ، فإن من الصعب الحكم
المطلق على كتب معينة بأنها خير الكتب . ففي الحق ان مشكلة
الاختيار في هذا المضمار شاقة تبعاً لتباين الأذواق واختلاف

الذوق، ولذا فسوف نوجز القول ونحدده مكتفين بالإشارة إلى الفهارس والقوائم، ما اتسع المجال إلى ذلك.

ولصعوبة إمكان التقدير المطلق في قيمة هذه الكتب وأمثالها، وخاصة في فنون الأدب الأرسطراطي، كالشعر والعميق من الألوان الأخرى، سنقتصر على ذكر المراجع في هذا الباب.

وكثيراً ما يكون لشهرة الكاتب والكتاب الأثر الفعال في إقبال الناس عليه.

ولا شك أن الجوائز الأدبية التي تمنح، تجعل للكتاب مكانته مما يهيئ له الانتشار والتقدير. وهذه الجوائز لدينا منها جائزة فؤاد الأول في العلوم والآداب والقانون، وجوائز هيئات ثقافية أخرى مثل مجمع فؤاد الأول للغة العربية، ووزارة المعارف العمومية، وغيرها من الهيئات.

وفي الغرب نجد أن مثل هذه الجوائز أقدم عهداً مما لدينا، كما أنها أوضح في تحديد مميزات الكتاب الذي يمكن أن يقدم للفوز بالجائزة. فجائزة نوبل تمنح سنوياً منذ عام ١٩٠١ في الآداب والعلوم، مشترطة أن يتوفر في المؤلف أو البحث، النزوع إلى المثالية والتمسك بالمثل العليا للسلام والانسانية. فلم تكن رواية (الأم) لميرل باك، الكاتبة الأمريكية ومؤلفة (الأرض الطيبة)، خير رواية ألفت، حينما منحت هذه الجائزة في إحدى السنوات السابقة للحرب العالمية الأخيرة. ولكنها كانت أظهر

ألوان القصص نزوعا الى السلام والمثالية ، بما صورت من
بؤس الحياة وشقاء وفقر الاحياء في البلاد الصينية ، التي كانت
جيوش اليابان تحتاج أراضيها في ذلك الوقت . وقد قرأت في
الصحف أخيراً أن « موريتس ديكر » المؤلف المسرحي
الهولندي ، قد ألف تمثيلية « ليس للعالم داع للانتظار »
وموضوعها عن الشرور التي يمكن ان تنجم عن استخدام القوى
الذرية في سحق الحياة وابداء الاحياء . ومثل هذه القصة قد
لاقت من النجاح فوق ما انتظره صاحبها وفوق ما قدره القارئون
بأمر المسرح ، لأنها صادفت الوقت الذي شعر فيه الناس بما
يتهددهم من ويل وشرور ، إثر اذاعة الانباء مؤكدة وصول
روسيا الى تحطيم الذرة .

ولا يستبعد مطلقاً أن تنال مثل هذه القصة جائزة نوبل
التي تشترط نزوع العمل الادبي الى غايات انسانية الى جانب
توفر الشروط الفنية .

وتمنح جائزة « بولتزر » منذ عام ١٩١٧ ، لخير المؤلفات
تمثيلاً للروح الامريكي في آفاق الأدب كالشعر والتراجم
والتمثيلية

وهناك جائزة (هوثورن) التي تمنح سنوياً منذ عام ١٩١٩
للكاتب الانجليزى الذى يكتب خير مؤلف أدبى ، على ان يكون
دون الاربعين . وكذلك ترجع جائزة « جيمس تبت بلاك »
الى تاريخ نفس الجائزة السابقة ، وهى تمنح لخير عمل ادبى ظهر في

باب منه، فإذا كنا بازاء المقالة فلمعرف مكانة مونتني في أدب المقالة . وكيف أنه دعم اسمها بأن أعطاها الطابع الشخصي وأشاع فيها الجو الصريح الذي يسمي عليها لونا من الألفة والاخلاص بحيث جعل نفسه موضوع كتابه « المقالات » ذلك الاثر الانساني الرائع الذي أخرج المقالة من اسلوب اصطفاغ الوقار والتجذوق والنصح والارشاد مما لم يعد ملائما لروح العصر .

واليوم كثيرا ما يعجب القاريء الحديث ممن يتخذ من اخطائه ونفسه موضوعا للسخرية، فذلك هي الصورة السائغة التي يستطيع الناس أن يروا اخطاءهم في ضوءها . وقد يضحكون من المؤاف وهم يشعرون أنهم قد اندمجوا معه في عجالي نفسه وشاركوه مشاركة وجدانية فلما يسوق عن شخصه فيرون فيه نفوسهم، فإن ضحكوا أو سخرؤا فأذا يسخرون منها .

فالمصارحة والمشاركة الوجدانية من الامور الاساسية في الحكم على المقالة الحديثة التي تختلف فيها النزعات والانجهاات . فالبعض يصطنع منهجا نفسيا، يسجل فيه هواجس النفس . والبعض تغلب عليه الافكار الفاسفية أو الدينية أو الفنية مثل « جماليل براد فورد » و « ارنست نيومان » و « رسكن » و « هكسلي » وغيرهم ممن اقاموا صرح المقالة من مختلف وجوه الحياة وصورها، من رحلات الى رياضة تساق الجبال، الى عمل الحديقة أو عمل المنزل ، الى موائد الغذاء ، أو مجالس العائلة ، الى ملايين الصور التي تزخر بها الحياة . والمقالة فهارس مثل تلك التي يرجم لها في آخر هذا الكتاب .

إنجلترا كل عام ، ولكنها لا تقصر دخول المسابقة على سن معين . كما نجد عشرات الجوائز في أنحاء العالم الاوروبي وغيره .

* * *

ومن الضروري ، لاختيار الكتب الأدبية الاهتداء بالفهارس المتعلقة ، إما بالأدب عامة ، أو بلون خاص منه . الى جانب كتب المراجع في الادب وفنون وعيون كتب تاريخ الادب ، ونظريات النقد . ومن هذه المراجع مثل ما أشرنا اليه في آخر هذا الكتاب تحت عنوان مراجع ادبية .

كما يجب أن توفر مثل هذه الفهارس والمراجع في كل فرع من الادب ، من تمثيلية الى شعر الى مقالة فتدل عليها وعلى اسماء مؤلفيها أو تدل على انتاج مؤلفين بالذات . أو غير ذلك من وسائل الاستعلام ، وذلك كله للاسترشاد بهذه الكتب وأمثالها في الاختيار والاهتداء .

والى جانب هذا يجب الامام بأشهر الكتب الاصلية في كل

شوامخ التاريخ

« ما الحياة غير تاريخ »

شكسبير

إذا كنا بصدد بحث فترة أو حادثة معينة في التاريخ فيجب أن نذكر ما ذكره « تير جارت » في كتابه (نظرية التاريخ) ص ١٧ حيث قال « إن التاريخ يسجل أحداثاً لها بداية ووسط ونهاية ، وأول ما يلفت نظر المؤرخ هو الحدث ، ولكن المشكلة التي يواجهها كل مؤلف هي ، كيفية الربط والتوحيد المتجانس بين عناصر غير متجانسة »

ومن ثم ، فالحدث يختلف من حيث تأثيره العقلي واثارته لمقايين التصورات تبعاً لتباين الأشخاص ، كما يذكر ذلك جورج سانتيانا في كتابه « الاحساس بالجمال » ص ١٤١ ، ١٤٢ وعليه ، فإن استحسننا لكتاب معين في التاريخ عن فترة معينة ، لا يدل على خلوه من الاخطاء ما دام الأمر مختلفاً باختلاف المؤرخين ، ولذا لزم وجود الخبرة فيمن يختار مثل هذه الكتب ، مع الالمام بها ، وامتلأه لقدرة من المعرفة يستطيع على ضوئه اختيار كتاب من بين عشرات الكتب .

وتختلف مذاهب المؤرخين ومناهج مدارسهم . فهناك المدرسة القديمة التي يمثلها برسكوت ، وما كولي ، وموتلي . وهم الذين غلب عليهم النزوع الأدبي والمشاعر الشخصية في مؤلفاتهم ؛

وأما المدرسة الحديثة ، فهي تحاول أن تكون موضوعية ، وأن تتجرد من تلك المشاعر الذاتية وتحاول الأخذ بالنظريات الاجتماعية التاريخية التي تلتبس استخلاص نتائج الحوادث لتبرز نوعا معينا من الحضارة أو طابعا خاصا من المدنية . ويمثل هذا الاتجاه الأخير في أبعد صوره (ويلز) في كتابه « موجز التاريخ » فهو يؤلف تأليفا ممتازا يتلام مع شعبية القارئ المعاصر ويصور الأحداث التي مهدت للعصر الحاضر .

ومن الكتب الممتازة في التاريخ ، (برستيد) في تاريخ مصر القديمة ، و (بيرد) و (هزى آدامز) في تاريخ الولايات المتحدة ، و (توماس كارليل) عن الثورة الفرنسية ، و (جيبون) و (بيرس) عن الامبراطورية الرومانية ، و (ميشيليه) في تاريخ فرنسا ، و (ماكولى) في تاريخ إنجلترا ، و (ميشو) عن الحروب الصليبية . ومن الكتب العامة التي تتجه إلى فلسفة الحضارات ، انحلال الحضارة الغربية (لشبنجلر) ، والحرية مقابل النظام (لوسل) ، وأصول فرنسا المعاصرة (لتين) ، ودراسة للتاريخ (لتويني) .

روائع العلوم

« إن في حقائق العلوم ما هو أقوى إثارة للخيال من روائع الأدب ، » هالدان
لقد تطور العالم القديم بأساطيره وفلسفته ، والعالم الوسيط

الدينى المتعصب الذى كان يرى كل شىء خلال الدين وبمنظار
الايمان وأصبح العالم انيوم يدين بالواقع ودراسته ، التى تأخذ
خفستها بالمنهج الوضعى القائم على الملاحظة والتجربة والاستقراء
لتكون النتائج قائمة على الوقائع ويمكننا أن نلمح للمشروط السريع
الذى قطعه العالم فى ميدان البحث فى السبعين سنة الاخيره ،
فقد بلغ من سرعته أن ما قطعه فى تلك الفترة يفوق جميع
ما انتهت اليه الانسانية من درس وبحث هدى آلاف السنين السابقة
التي تؤرخ حضارة الجنس البشرى .

ولو أننا لم نقنع بهذا الكلام وهدى ما فيه من صدق
وحاولنا الوقوف على ذلك التقدم على نحو ملموس ، فقارننا
بين ما تجده عن الذرة أو عن الالكترونات أو الراديو فى
دائرة المعارف البريطانية فى طبعة سنة ١٩١٠ ، لهجينا لمدى
ضآلة معارفنا لذلك العهد عن هذه الموضوعات التى صار ينشر
ويذاع عنها عشرات البحوث كل شهر لتضيف الجديد الى ما نعرف .
واذا كان (فهرست البحوث العلمية) الذى أخرجه
الجمعية العلمية الملكية بلندن مسجلا كل ما أجرى من بحوث
علمية بين عامى ١٨٠٠ و ١٩٠٠ ، قد شغل تسعة عشر مجلداً ،
فاننا نجد أن البحوث والمطبوعات العلمية التى اجريت منذ بزوغ
القرن العشرين حتى اليوم تحتاج الى مائتى مجلد . وهى لن تشغل
من فروع العلوم إلا سبعة عشر فرعاً فقط لو قدر لها أن تخرج
فى هذا الحجم الذى يعتبر على ضخامته ضئيلاً اذا كان عليه

أن يشمل الابحاث العلمية جميعا. واذا عرفنا أن دورية تعني
بذكر ملخصات ما نشر في علم الاحياء مثلا، ترجع الى ما يقرب
من خمسة آلاف دورية مطبوعة كيما تستوعب حداً معقولا
من البحوث التي تنشر عن علم الاحياء، لكيما تلخصها وتذيع
نتائجها على الباحثين والدراسين في انحاء الارض ، لا يمكننا
أن نتصور مدى هذا التقدم ومدى الجهود التي يجب أن تبذل
كيما نسير هذا الركب الزاحف قدما نحو كشف الحقائق ،
وهو ركب لن يقف في أكبر الظن، إلا بانتهاء الانسان نفسه .
ولسنا إذ نعرض للعلوم وأشهر الكتب فيها بصدد كتب
للخاصة ، لأننا افترضنا أننا نعالج هذا الموضوع على نحو أعم
وأشمل . فنحن نختار الكتب للمكتبة العامة في هذا الفصل .
ولسنا نذيع جديداً اذا ما ذكرنا ان الكتب العلمية
تختلف في طريقة عرضها للموضوعات ، فمنها المدرسي ، ومنها
الجامعي ، ومنها العام ، ومنها الشعبي ، ومنها ما يمتاز بالسبق
والقاء الضوء على حقيقة ما زالت في طور الكشف . كما يجب
أن تقدر على ضوء مؤهلات المؤلف ومباحثه السابقة ودراسته
التي أهلته لكتابة البحث . ولنتذكر أهمية حداثة هذه الكتب
لأن القديم لا قيمة له إلا في حالات خاصة . كما لا يفوتنا ان
الكتب العلمية تكون أغلى ثمنا من غيرها ولذا يجب التدقيق
فيها قبل شرائها .

وليس هنا مجال الإشارة الى أهمية الفهارس الخاصة بالعلوم
والابحاث العلمية بالتفصيل ولكن يجب أن نذكر « فهرس
الابحاث العلمية » الذي نشر بواسطة الجمعية الملكية بلندن
وقد ذكر الابحاث التي تمت بين عامي ١٨٠٠ و ١٩٠٠ ،
« والفهرس الدولي للأبحاث العلمية » الذي يسجل البحوث
التي أجريت بين عامي ١٩٠٢ و ١٩٢١ ، والذي نشرته الجمعية
الملكية بلندن كذلك .

وقد نشر مجلس البحوث القومي بواشنطن فهرس المكتب
التي نشرت في العلوم والفنون العملية والطب حتى عهد قريب .
وفي كل فرع من فروع المعرفة والفنون توجد فهارس
للمكتب الجديدة يمكن الرجوع لها في « دليل مكتب
المراجع » لمادج .

ومن أمثلة المكتب العلمية التي تصلح لقراءة المثقفين بوجه
عام ، دراسات عن موضوعات العلوم الطبيعية « لدرام » ،
و : الحياة النفسية للحشرات « لبوفيه » ، و : لماذا تغنى الطيور
« لديلمان » ، و : الحياة في دنيا الحشرات « لفابر » ، و : النحل
« لجوليان هكسلي » ، و : الحياة في الغابة « لشورو » ، و : أصل
الانواع « لدارون » وله أيضا : نظام الطبيعة ، و : عالم الضوء .

« لبراج » ، و : حقيقة طبيعة الحياة « لادينجتون » ، و « هالدان »
 له : العلم والحياة الانسانية ، و : الكون من حولنا « لجينجز » ،
 والنفسية « لبرتراندراسل » ، و « لسيدجويك » : مختصر تاريخ
 العلوم ، و « لتيرنر » : رحلة في المكان ، و « لويان » وآخرين :
 معرفة الحياة ، و « هوايتهد » له : العلم والعالم الحديث ،
 و « لامل ميرسون » القيمة التوضيحية للعلم ، و « لكلود برنار »
 مقدمة لدراسة الطب التجريبي .

ومن الكتب التي يقبل عليها الناس سلاسل - « أبلتون »
 منشري ، عن العلوم ، وسلسلة كتب « اليوم والغد » التي
 يصدرها « داتون » وكلها امرىكية .

العلوم الاجتماعية

خلت أنى فى الغاب أصبحت وحدى

فاذا الناس كلهم فى ثيابى

«إيليا أبو ماضى»

يقصد بالعلوم الاجتماعية دراسة الظواهر الانسانية فى المجتمعات ، فهى شبيهة بذلك الذى أسماه ابن خلدون فى مقدمته بعلم العمران . وتشمل الظواهر الاقتصادية والدينية والتربوية واللغوية والسياسية والقضائية والجمالية ، أدبية كانت أو فنية ، وكل ما يجرى من حياة المجتمعات ، متطورة ومستقره . غير أن النظرة الامريكية لا تكفى بقصر هذا الباب على الناحية النظرية ، بل تضيف اليها الاصلاح الاجتماعى ، والخدمات الاجتماعية ، والمؤسسات التى تعنى بعلاج المشاكل الاجتماعية بحيث تحتل هذه التطبيقات العملية مكانا أوسع من ذلك الذى يشمل الدراسة النظرية البحتة .

وإذ ألقينا نظرة على تقسيم ديوى لوجدنا أن علم الاجتماع العام لا يشمل غير جزء من ضمن أجزاء العلوم الاجتماعية مثل الاحصاء ، والعلوم السياسية ، والاقتصاد ، والقانون ، والادارة الحكومية والحيش ، والمؤسسات الاصلاحية ، والتعليم ، والتجارة والاعمال ، ووسائل المواصلات ، والازياء ، والعادات والتقاليد العامة . واذن ، فمن المبالغة ، ونحن نتبع هذا التقسيم

في حديثنا عن المعرفة ، أن نقصر القول على علم الاجتماع العام ، كما أننا لا نستطيع أن نتكلم عن هذه الثروة الانسانية الضخمة من العلوم والفنون وأشهر كتبها في هذا الحيز المحدود . وقد لوحظ الاقبال على هذه الدراسات إبان الأزمة الاقتصادية الامريكية ، فسيطت نسبة قراءة القصص في الوقت الذي ازداد فيه الاقبال على هذه الدراسات الاجتماعية وفروعها وخاصة المباحث الاقتصادية ، فصارت منذ ذلك التاريخ تحتل مكانة ممتازة في عالم القراءة . وهذا الاتجاه يفسر مدى عناية هذه الدراسات في أمريكا بالواقع والمشاكل الحيوية الموجودة التي تحاول بحشها بحثا موضوعيا واقعيا قائما على الملاحظات والاستمالة والاحصاء ، وما الى ذلك من أساليب منهج البحث الاجتماعي للظواهرات والمشاكل . ويعتبر الإصلاح الاجتماعي وألوانه ، مثل الخدمات الاجتماعية ، ضمن ما يدخل في هذا المجال . ولما كان من الملاحظ في بلادنا ارتفاع نسبة القراءة نسبيا ، وازدياد الاقبال والعناية بمثل هذه الدراسات ، فيجب أن نمهد السبيل لارضاء هذه الميول الاجتماعية ، ليلمس الناس مشعا كلهم على أساس علمي بما نقدم من كتب .

وليس لنا في هذه النبرة أن نتحدث عن أشهر المكتبات الفلسفية الاجتماعية ، مثل مقدمة ابن خلدون ، أو الفلسفة الوضعية لوجسط كومط ، أو كتب أميل دوركايم ، وليفي برون ، من أعلام المدرسة الفرنسية الاجتماعية . ولا من

مهدوا لها ، مثل مونيسكيو في كتاب روح القوانين ، وتين في دراسته الأدبية التاريخية . ولا من تأثروا بها مثلاً في تفسير الأدب والفن ، مثل جيوه ولالو .

وكذلك ليس لنا أن نقف عند كتب أخرى مهدت لدراسة المجتمعات المثالية مثل جمهورية أفلاطون ، أو المدينة الفاضلة للفارابي أو المدن الخيالية الأخرى التي يمكن أن نلتمسها عند كامبانيا وتوماس مور . كما لا يتسع المجال لأن نقف عند مؤلفات سبنسر ، وآدم سميث ، أو عند نظريات علم النفس الاجتماعي التي مهد لها تارد ، أو عند نظريات أخرى بالغة في أصالتها في مثل كتاب « فيلفريد باريتو » المسمى (العقل والمجتمع) .

لا نريد أن نقف عند هذه الكتب ، التي أصبحت كلاسيكية والتي تكفي الإشارة إليها ، نظراً لاختلاف المدارس ووجهات النظر . ويمكن قراءة كتب تمهيدية حتى لا يضل القارئ المبتدئ في ساحة المكتبة الشعبية ، وهذه الكتب مثل كتاب ليسترورد « الاجتماع التطبيقي » وجينزبرج « علم الاجتماع » ، وبارنز « تاريخ واتجاهات العلوم الاجتماعية » ، رداييز « التيارات الاجتماعية المعاصرة » وماك ايثر « المجتمع » ، ووليند « تطور المدينة » . (١)

(١) راجع الاسم بالإنجليزية في قائمة المراجع بآخر الكتاب

وقد ظهر حديثا كتاب سنة ١٩٤٩ لجونس اسمه «الأسس الاجتماعية الرئيسية» .

على أننا لا يمكننا إغفال أهمية كتب الدكتور على عبد الواحد التي نشرت في سلسلة الجمعية الفلسفية والتي تعطي فكرة عميقة، في غير توسع، عن المشاكل التي عالجها ، مما يجعلها ذات أهمية خاصة في هذا المضمار وهي «العائلة والمجتمع» و«المسؤولية والجزاء» و«اللغة والمجتمع» ، وهي كتب فريدة من نوعها في العربية . أريد أن أذكر بأهمية ما تنشره الهيئات من النشرات والرسائل الموجزة ، والاحصاءات ، والتقارير ، وحتى نشرات الاعلانات ، التي قد لا تخلو من فائدة في بعض الأحيان . وهذه كلها تظهرنا على أحدث ما انتهت اليه هيئات البحث والدراسة والاصلاح من تطور في علاج المشاكل الاجتماعية ودراستها . وهذه المؤسسات مثل مؤسسة كارنيجي بواشنطن ، ولها ولطبوعاتها مكانة ممتازة ، كما أن مطبوعات منحة كارنيجي للسلام العالمي جعلت المكتبة الاجتماعية زاخرة بأدق ما بحث في هذا الموضوع منذ سنة ١٩١٠ حتى الآن . وقل ذلك أيضا عن نشرات مؤسسة راسيل سيج في ميدان الخدمات الاجتماعية التي تصدر منذ سنة ١٩٠٧ حتى الآن . وقله كذلك على نشرات كل من الجمعية الأمريكية للدراسات الاجتماعية ونشرات مجلس مباحث الدراسات الاجتماعية ، وغيرها من الهيئات الاجتماعية التي تقترن دائما بالاصلاح مثل مؤسسات الصحة العامة وعلاج

مشاكلها ، ومشاكل الطفولة والتشرد ، ومشاكل اليتامى غير الشرعيين ، ومشاكل الاجتماع الريفي ، وتعنى به جمعية الاجتماع الريفي بجامعة ولاية كارولينا الشمالية بمدينة رالى بأمرسكا ، ولتقارير ومشورات البيت الأبيض عن المشاكل الاجتماعية شأن كبير فى هذا المجال . كما يمكن أن يجد مثل هذه النشرات عند الهيئات المماثلة فى إنجلترا والدانمارك والسويد والنرويج . ولطبوعات هيئة الائتم أهميتها فى هذا المجال .

وفى المكتبة العامة يجب أن نحرض على أن نفتنى مثل هذه النشرات ونعرضها ونبين أهميتها ، وخاصة ما كان منها مقتضيا مبسطا ، ويمكن أن تتأكد الافاده منها بربطها ببرامج المحاضرات والنشاط الثقافى الاجتماعى الذى تقوم به المكتبة العامة لعلاج وعرض مشاكل المجتمع .

ومن مراجع وفهارس هذا الباب التى تعين على تحديد قيمة الكتب ، دائرة معارف العلوم الاجتماعية التى نشرها ماكلان (١٩٣٠ - ٣٦) ، وفهرس لندن للعلوم الاجتماعية الذى نشرته مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية ١٩١٣ - ٣٤ ، وكتاب الفهارس فى الفصل الرابع لفان هاوزن (انظر مراجع هذا الكتاب بآخره) . وكل من الفهرس الجامع لويلسون ، وقائمة كتب الولايات المتحدة التى تصدر كل ثلاثة أشهر عن مكتبة الكونجرس . وهذين الأخيرين فهرسين دوريين يعينان فى معرفة الكتب الجديدة فى هذه الموضوعات وغيرها ، والاخير ينقد الكتب الهامة نقدامعتدلا .

الديانات والفلسفة

«إننا نتفلسف كما نتنفس»

اميل ميرسون

«لقد فقدت إيماني بالله منذ سنتين، ولكن هاهي أجراس عيد الميلاد تدق... إنها تحمل شعاعاً حبيباً من صباى... هيا لنجني العيد»

جميته على لسان فلوست

يحاول كل من الدين والفلسفة أن يعرض لمشاكل ما بعد الطبيعة أى عالم الغيب، وعالم الكون والفساد أى عالم الشهادة وفى موضوع عالم الغيب تدرس مشاكل مثل مشكلة الله ووجوده ومشكلة الروح وخلودها. وبينما تتخذ الفلسفة العقل والمنطق سبيلاً إلى معرفة الحقيقة عارية، يلتمس الدين من الشعور وسيلة إلى الإيمان والتسليم المطلق بتعاليم الدين. فالفلسفة محاولة إنسانية عقلية جريئة على المتوارث من الإيمان، وهى كفاح وجهاد. فى حين أن الدين استسلام ورضى نفسى عن حقائق يرى من الخير أن يؤمن بها ليكافح الفرد والناس فى غير هذا السبيل الذى ما انتهى الانسان فيه، بالعقل، إلى حقيقة معلومة مرسومة.

وفى مجال الدين نجد الكتب المقدسة أعلاماً فى هذا المجال. فالقرآن اعتبر آية إجاز ببلاغته وتشريعه وحكمته، والكتاب

المقدس بتحليقه الشاعرى وبصوره الخصبه ، وبما حوى من
رواسب الحكمة التى رسبت على الدهور ، فى نهر الحياة ، كانت
له مكانته على رأس الكتب الموحية التى ألهمت الشعراء
والفنانين فى الغرب .

وقد كانت ، وما زالت ، هذه الكتب وأمثالها من ديانات
اليونان وأساطيرهم من أبعد الكتب تأثيراً وإيحاء . فهى تترك
المجال واسعاً للخيال والفكر لتأويل الصور والمعانى . وكتب
الديانات المقدسة هى بيادر حكمة الشرق ، وصورة من أحلام
وديانه المقدسة ، وصحرائه اللانهائية التى تلهم بالوحدانية ، كما
يقول لامرتين فى بعض شعره ، الذى اقتبس السكونت (كارادى
فو) فى مقدمة كتاب له عن الاسلام . ومهما نكون فى عصر
يلج بالمادة والحضارة المادية ، فلا شك أن مثل هذه الكتب
ضرورية للإنسانية ، لأنها تخاطب فيها عاطفة طبيعية ، كما هى
ترسم للخيال أجمل الصور . بل إننا لا نشد حاجة الى مثل هذه
الكتب فى العصر الذى نحيا فيه . فهى تراث إنسانى خالد
تستروح فيه النفس اذ تلقى ألواناً من الصفاء الروحى الذى
يذهب بأكدار الحياة المعقدة ، والقيم المصطنعة ، والاضواء
التي تنعب البصر وتجعل المرء يغفو عن هذا كله ، فى ضباب
مقدس لتستيقظ روحه فى هذا الجو الزاهر بمعان وصور فى
قليل من التصريح وكثير من التلميح .

واليوم نجد الأقبال على هذا اللون من الثقافة واضحاً فى

الكتب التي لم يقصد من ورائها التعليم الديني وخدمة أغراضه المباشرة . وغالبا ما تلقى الكتب التي يكتبها كتاب غير رجال الدين رواجاً وإقبالا ، وذلك لما فيها من ربط بين الماضي والحاضر ، وإظهاره في ضوء جديد يجعله أقرب الى نفوس الأحياء وقلوبهم .

يقول الدكتور طه حسين بك في مقدمة كتابه « على هامش السيرة » في جزئه الاول « ... وإنك لنلمس هؤلاء الذين يقرءون ما كتب القدماء في السيرة وحديث العرب قبل الاسلام فلا تسكاد تظفر بهم . إنما يقرأ الناس اليوم ما يكتب لهم المعاصرون في الآداب الحديث بلغتهم أو بلغة أجنبية من هذه اللغات المنتشرة في الشرق ، يجدون في قراءة هذا الادب من اليسر والسهولة ، ومن اللذة والمتاع ما يغريهم به ويرغبهم فيه ، فأما الادب القديم فقرأته عسيرة وفهمه عسير وتذوقه اشد عسراً . . . وأين القارئ الذي يطمئن الى قراءة الاسانيد المطولة والاعخبار التي يلتوى بها الاستطراد وتجاوز لغتها القديمة الغريبة عن سبيل الفهم السهل والتذوق الهين الذي لا يكلف مشقة ولا عناء . . .

ذلك الى ان الادب القديم لم ينشأ ليبقى كما هو مستقراً ثابتاً لا يتغير ولا يتبدل ولا يهتمس الناس لذته إلا في نصوصه يقرءونها ويعيدون قراءتها ويستظهرونها ويمعنون في استظهارها . إنما الادب الخصب حقا هو الذي يلذك حين تقرأه لانه يقدم

إليك ما يرضى عقلك وشعورك ولأنه يوحى إليك بما ليس فيه ويلهمك ما لم تشتمل عليه النصوص ويعبرك من خصبه خصبا ، ومن ثروته ثروة ومن قوته قوة . وينطقك بما أنطق القدماء ولا يستقر في قلبك حتى يتصور في صورة قلبك أو يصور قلبك في صورته وإذا أنت تعيده على الناس فتلقيه اليهم في شكل جديد يلائم حياتهم التي يحيونها وعواطفهم التي تشور في قلوبهم وخواطرهم التي تضطرب في عقولهم » .

وهكذا صارت أكثر الكتب انتشاراً في هذا المجال هي الكتب التي تربط حقائق الماضي بالحياة الحاضرة وما يضطرب فيها من مشاعر وأحاسيس ومشاكل في ضوء العلوم والمعارف والأساليب المعاصرة ، وهذا يعلل شدة الإقبال على كتب التراجم التي أذاعها مشاهير الكتاب في مصر عن أبطال الإسلام وأعلامه مثل تراجم العقاد وكتب هيكل (وعلى هامش السيرة) لطف حسين ، وخاصة في بدء ظهور مثل هذا اللون الجديد في الأدب العربي المعاصر .

وكتب المراجع العربية عن الإسلام عديدة متنوعة يحسن الرجوع فيها للخبير ، وليس لها فهارس مطبوعة تسهل لنا مهمة اختيار بعض منها كما نجد ذلك في المراجع الأوروبية حيث نجد (دائرة المعارف الإسلامية) وغيرها ، كما نجد دوائر معارف أخرى عن الأديان مثل (دائرة معارف الدين

والأخلاق) و (دائرة المعارف الكاثوليكية) و (دائرة المعارف اليهودية) .

ومن مصادر المتعة والمعرفة في هذا الموضوع ما كتب عن أديان الشرق القديم كديانات بوذا وكونفشيوس وزرادشت ، ومن مصادر المتعة والمعرفة كذلك الوقوف على الأديان البدائية وتقاليدها وأساطيرها في كتاب مثل (الغصن الذهبي) لفريزر .

وتعد الفلسفة سجلا اتفكير البشر ومدى ما انتهوا اليه بالعقل عن الحياة والموت ، والخير والشر ، والجمال والقيبح ، والصواب والخطأ . فهي تتضمن ما بعد الطبيعة ، وعلم الأخلاق وعلم الجمال ، وعلم المنطق وان اتجه الرأي الحديث الى فصل كل ما ليس متعلقا بما بعد الطبيعة عن الفلسفة .

والفلسفة ليست شعبية يسيرة الفهم سائغة لكل عقل . فيجب أن نختار السهل الواضح العام نقدر الامكان من الكتب التي تكتب في هذا الموضوع . ولذلك كانت السلاسل التي يصدرها بعض الناشرين في الغرب ، في هذا الافق العام الذي ينمو ويتجه الى التبسيط والتوضيح ، أكثر شيوعا من الكتب الاصيلية العميقة مثل كتب (سبينوزا) و (أرسطو) و (كانت) و (مايفيد) في هذا المجال قصص الفلسفة التي تعرض لتاريخها عرضا داما أو التي تعرف بها . ومن هذه الكتب السائغة كذلك تلك التي تربط المشاكل الفلسفية بالحياة الجارية ومشاكلها .

وإذا اعتبرنا علم النفس تابعا للفلسفه ، ولو في مجال التقسيم المكتبي لفروع المعرفة لصرنا أمام أوضح لون من ألوان الفلسفه شيوعا وانتشارا ، وخاصة ما كان منه في سلاسل قصيرة تدرس المشاكل الحيوية أو العملية مثل مشاكل السعادة والنجاح والتخلص من الألم وكيفية إدارة العمل ، وتنظيم الحياة ، والتغلب على الخوف والوهم وغيرها مما يدرس العوامل النفسية في الحياة الاقتصادية والعائلية والاجتماعية والمهنية ، وما الى ذلك .

وقد سبقت الإشارة الى السلاسل الفلسفية ، التي هي شبيهة بما أصدرته الجمعية الفلسفية المصرية ، وما كان لها من أثر في الاقبال على هذا اللون من المعرفة بما تحاوله من تبسيط وإيضاح للحقائق والنظريات مع عرضها لها في حجم معقول وبسرعة معتدل . ومن أمثال هذه السلاسل « السلسلة الفلسفية » التي هي جزء من سلاسل « مكتبة الطلبة الحديثة » التي يصدرها « سكرتير » الناشر الأمريكي ، وكذلك « المكتبة الفلسفية » التي يصدرها الناشر الشهير « ما كلان » وهي أكثر توسعا من الأولى . ويمكن الرجوع للمهارس العامة للوقوف على الجديد بما أذيع في الابحاث الفلسفية ، كما يمكن الرجوع الى (قاموس لالاند) الفلسفي بالفرنسية للاهتمام الى مراجع في الموضوعات الفلسفية ، كما يمكن الاستعانة به في التعريفات وكذلك (بقاموس بولدوين) للفلسفه وعلم النفس ، وكذلك بقاموس « وارن » في علم النفس .

ومن المراجع التي ترشد عن كتب في علم النفس قائمة (شو) الخاصة بكتب الجامعات ، ويمكن أيضا الرجوع الى كتاب (المراجع) لفان هاوزن ووالتر ، في الفصل السادس ومن الهام أن نذكر الدورية التي تعنى بالمختصات في هذا الموضوع وهي مجلة « مختصرات علم النفس » .

وهي دورية شهرية تشير الى الموضوعات الجديدة التي نشرت في مجال هذا الفن سواء ما نشر في المجلات أو الكتب ، ويصدرها اتحاد علم النفس الامريكي . وفي مصر نجد « مجلة علم النفس » التي تصدر عن جماعة علم النفس التكاملي ، وتشرها دار المعارف ، وهي تشبه المجلات المعتمدة في الغرب من حيث اشارتها الى ما يصدر في هذا الموضوع ، ولا يفوتنا أن نشير الى ما سجله « السجل الثقافي » الذي نشرته ادارة التسجيل الثقافي بوزارة المعارف من كتب ظهرت في مصر في هذا العلم وفي غيره في عامي ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ وقائمة المعهد الفرنسي عن الكتب التي صدرت بين عامي ٤٢ و ٤٤ .

ومن الكتب القيمة الشيقة ، في الغرب في موضوعي الدين والفلسفة ما هو حقيق بأن تمتلكه المكتبة . ومثل ذلك « الاخلاق الى نيقوماخوس » لارسطو وقد ترجمه لطفي السيد باشا الى العربية . ود لما تيو أرنولد ، الادب والرأي الملزم ، واعترافات القديس أوغسطين ، وتطور المعرفة « لبيكون » ، والطب الروحي

« لتوماس براون » ، و « لاميرسون » مسالك الحياة ، و « لايب-كتاتوس » مقالات أخلاقية والمقال عن المنهج « لديكار » ، والأخير ترجمة عربية بقلم الاستاذ محمود الخضيرى . و « للقديس فرانسس » زهور القديس فرانسس الغضة ، و « وليم جيمس » له المقباين من التجارب الدينية ، ومقال عن الحرية « لستيوارت مل » ، و « نيكشه » له هكذا قال زرادشت وله ترجمة عربية بقلم المرحوم الاستاذ فيلسكس فارس . والافكار « لباسكال » ومحاورات أفلاطون مترجم بعضها الى العربية بقلم (الدكتور) زكى نجيب محمود ، و « حياة المسيح » لرينان ، ومقالات شوبنهاور واكثر التراجم الانجليزية ملاءمة للقارى العادى هى ترجمة سودرز .

ومن الكتب الحديثة الشيقة كتاب طريق الآله « لا تكفسون » والتطور المبدع « لبرجسون » وله أيضا « منبع الدين والاخلاق » ولهما ترجمة عربية ، و « ج . هـ . برستيد » له فجر الوعى ودلويس برون « له العالم المؤمن ، و « جون ديوى » له كتب عديدة أهمها الطبيعة البشرية والسلوك ، و « لارنست ديميه » فن التفكير ، و « اهافلوك ايليس » كتاب رقصة الحياة و « لفريرز » كتاب الغصن الذهبى ، و « لجبران خليل جبران » : حياة المسيح ، و « لجوليان هكسلى » : دين بلا وحي ومطلب السجادة « لبرت اندراسل » و « جورج سانتيانا » له : مذهب الشك وعقيدة الحيوان ، ومخاطرات عقلية « لهويتهد » .

ولا أحب أن أكرر أن هذه ليست إلا مجرد أمثلة رائعة

المكتبة السائغة في أفق المكتبة العامة.

* * *

وأسهل مرجع يمكن الرجوع إليه في هذا الصدد هو كتاب
(فن اختيار الكتب) لهيلين هيز وهو الذي سبقت الإشارة إليه
والذي كان جل اعتمادنا عليه في هذا الباب .

وهنا نحن قد طوفنا بالمعرفة ، كما فعل بروميثيوس القديم كما
تخيله أحد مشاهير الكتاب المحدثين في الغرب حينما ازعم الوحيل
ليكشف عن عوالم جديدة فأقلع بشراعه يصارع موج
البحار المظلمة ، وبعد صبر ولأى وعناء لاحت له بشائر نور هاد
وما اتجه نحوه حتى هبت عواصف البحر الشائر . وصارع البطل
ولكن جبال الموج ما لبثت أن أطبقت بقوتها الصماء العارمة
عليه وعلى رجاله . وكان ذلك حينما صار أقرب ما يكون إلى
النور المبشر بعالم جديد .

وهنا نحن قد طوفنا بالمعرفة في تلك الجولة السريعة الخاطفة
لأنكشف عن عوالم جديدة إنما لنذكر فيها لعلها توحى بارتداد
آفاق منها . ومع تنبيهنا إلى أننا بصدد العامة لا الخاصة فقد لا نعدم
ما تثيره هذه الإشارة الموجزة من منحنى الخاصة في كل فن .
ولولا أن الغاية هي تنبيهنا إلى ما لدينا من نقص في الفهارس والمراجع
في المكتبة العربية لخشنا بحر معرفة هؤلاء الخاصة حين يشور
وهنا نشفق على أنفسنا من مصير البطل القديم !

مراجع

- 1—A. L. A.
Post-war standards for public libraries, 1943.
- 2—Bostwick, A. E.
American public library, Appelton, 1929.
- 3—Branscomb, H.
Teaching with books, A.L.A. 1940.
- 4—Bryson, L.L.
Adult education, American Book Co., 1936.
- 5—Bryson, L.L.
The new Prometheus, Macmillan, 1941.
- 6—Cartwright, M. A.
Adult education, Ency. Britanica, 14th ed., vol. 1.
- 7—Chancellor, J. M.
Helping adults to learn, A.L.A., 1939.
- 8—Columbia University, School of Library Service,
Syllabus for study of college & university library
service.
- 9—Columbia Un., S.L.S.,
Syllabus for study of fundamentals of library service.
- 10—Harvard University
General education in a free society, Har. Un.
Press, 1945.
- 11—Harzeline, A. I.
Library work with children Wilson, 1917
- 12—Humble, M.
Rural America reads, Amer. Ass. for adult educa-
tion, 1938.

- 13—Joeckel, C. B.
The Government of American public library, A.L.A.
1935.
- 14—Johnson, A.
The public library, a people's university, Amer.
Ass. for adult education, 1938.
- 15—Jones, E. K.
Hospital libraries, A. L.A. 1939
- 16—Lamar, J.
The secondary school library (Bulletin, National
of Secondary Education, Monograph 17.), 1932.
- 17—Learned, W. S.
The American public library and the diffusion of
knowledge, Hartourt, 1924.
- 18—Lyle, G. R.
The administration of college library, Wilson 1944.
- 19—Lynd, R.S. & Helen Lynd.
Middletown in transition, Harcourt, 1937.
- 20—Mc Colvin, L. R.
How to find out, National Book League, Cambridge
University press 1948
- 21—Mc Colvin, L. R.
How to use books, National Book League, Camb-
ridge Un. Press, 1948.
- 22—Mc Donald, G.
Educational motion pictures & libraries, A. L. A.,
1924.

فهرس الموضوعات

صفحة	
٣	الاهـداء .
٤	هــذا الـكتاب . مقدمة .
٨	بروميثيوس الجديد . المكتبة في الديمقراطية .
٣٧	من المعبد الى الشارع . في تطور المكتبة الشعبية .
٥٤	مدرسة الحياة . خدمات المكتبة الشعبية في التعليم .
٧٤	المكتبة ودعائهم الغد . المكتبة في التربية والتعليم .
٨٦	الصمت غير ممنوع . مكتبات الاطفال .
٩٦	خدمات وكتب المراجع .
١١٥	فنون المكتبات . اصولها في الشرق والغرب .
١٢٨	فن اختيار الكتاب .
١٣٢	الـكتب في الميزان .
١٦٠	جولة حول المعرفة .
١٨٩	ثبت المراجع .
١٩٢	غرض الكتاب (بالانجليزية) .

يعتذر المؤلف عن بعض الأخطاء المطبعية التي وقعت في هذا الكتاب .

طبع بمطبعة المحيط . بميدان بركة الرطلى رقم ٦٠٠

LIBRARY & SOCIETY

by

ABD ELSALAM SHEHATA

Librarian, Fouad National Research Council

Cairo, Egypt.

1949

The chief purpose of this book is to lead the reader to an understanding and appreciation of the wide and various opportunities which the modern library offers for culture, education and scholarship. Among the various types of libraries, this work emphasizes the role played by the public library to raise the social and educational standards in the community.

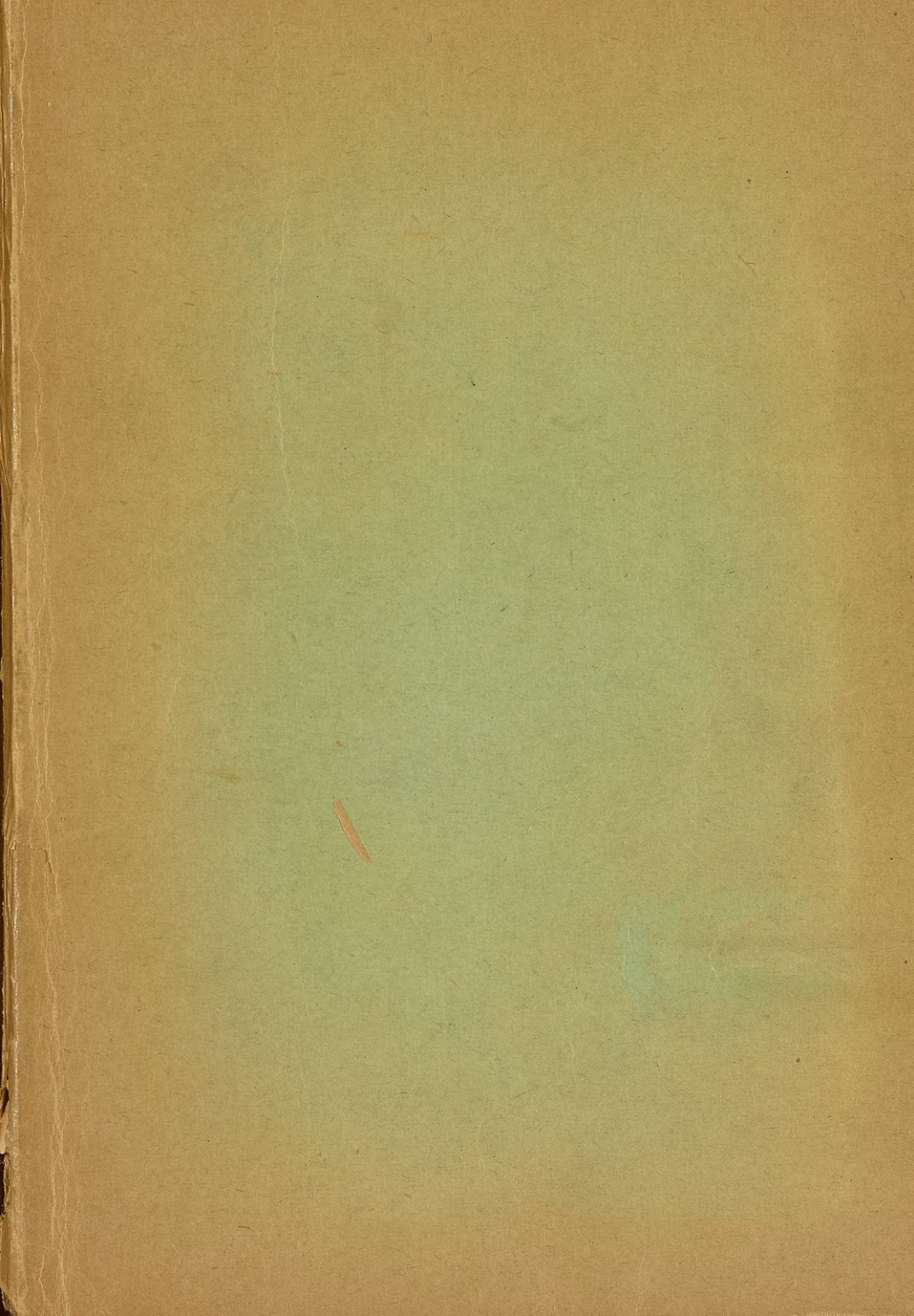
In its second part, this volume tries to explain what librarianship is, and what kind of knowledge and experience are needed for library training. To illustrate an interesting example of such subjects, the author tries to deal more fully with the art of book selection.

The author, who was offered a scholarship by U. S. Government to study librarianship at the School of Library Service of Columbia University, N. Y., seizes this opportunity to express his appreciation and thanks to those who offered him the fellowship, as well as to the outstanding staff of his school at Columbia University.

By Abd El Salam Shehata

D021.2
Sh13

D021.2
Sh13
Shahhata
a1-Maktaba wa-a1-
mujtama.



LIBRARY SERVICE

D021.2
Sh13

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU02171473

aba wa-al-

D021.2-S413

